النقد الأكاديمي المعاصر

(رؤية نهضوية)

د. ثناء محمود قاسم
أستاذ مساعد -قسم البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن
كلية دار العلوم جامعة الفيوم
Thanaa.kasem1986@yahoo.com

مدخل:

أخذ التفكير العربي منذ مطلع العصر الحديث يسترفد كل عوامل النهضة ، وينهل من مستحدثاتها . فمضى يتلقى نواتج التفكير الغربي بحالته وثقافته وعوامل نهضته الخاصة ، ويقر لها قراراً وموطناً في بيئتنا العربية الخالصة . وصارت التبعية هى السبيل الوحيد والمخرج الأقرب إلى النهضة ، وانفتح الباب على مصراعيه بسيول من مناهج النقد الغربية تتوالى وتتزاحم كما تزدحم قطع الشطرنج ، مثل : " الواقعية الاشتراكية " ، و " المنهج النفسي "، و " الأسلوبية "، و" البنيوية " ،و" التفكيكية "، و" السيميائية "، و" مناهج الحداثة " ، و" ما بعد الحداثة ، وكانت النتيجة أن أعلى الصيحات لدينا ماثلة في اتباع المستحدثات التي يبتدعها الغرب ويطورها ويحصل على ما يريده منها ، ثم يتركها فنلتقطها نحن ، ونتخيل أن بها حلاً لما يعانيه الأدب العربي من ركود "[١]

ولقد كان هذا التسليم والخلوص إلى هذه النتيجة والانتهاء إليها - في رأيي - سبباً في ظهور أزمة أشد وطأة من التسليم للآخر ، وهى التصديق بأننا - رغم الانغماس في التبعية - وجدنا ضالتنا وارتقينا سلم النهوض ، وكأننا - رغم الدوران في فلك الغرب - قد اعتلينا ركب التقدم إلى المستقبل ، متجاهلين زيف البدايات والأصول ، ضاربين الصفح عن المسافات الواسعة التي تعزلنا عن أدبنا العربي والتي تزداد مع المد الزمني .

ولا ننكر- رغم هذا - مواصلة البحث الدائم عن نقاط الخروج من هذا المأزق ، و محاولة إيجاد سبل النهوض الحقيقي للنقد العربي ، بوجود من يتحمل مؤنة ذلك العبء من النقاد . ولعل أطولهم نفساً في ذلك ، وأجدرهم بالبقاء في صفوف أصحاب الرؤى المستقبلية ، هم الباحثون الأكاديميون.

وتعنى هذه الدراسة بالكشف عن الرؤى الناهضة بالنقد الأدبي على مستوى مؤسسي - لا أفراد - باعتبار أن المؤسسة العلمية هى المصنع - إن جاز التعبير- الراعي لهذه الرؤى ، والمسؤول عن تلك الجهود المبذولة في سبيل التطوير المستمر لمواكبة العصر ، لنستطيع من خلالها استشراف مستقبل أفضل .والمقصود بالمؤسسة هنا ، الجهة الأكاديمية الحاضنة للبحث العلمي بكل أنواعه ومجالاته [٢]. وهو مصطلح " يعبر عن الدقة المنهجية والمتابعة المنتظمة واستثمار الحصيلة النقدية في استكشاف السمات الخاصة للتطور الأدبي في المراحل المختلفة ، والاهتمام بقضية النشوء والارتقاء فيما يتعلق بالحركة الأدبية والتزام الدرس العلمي والموضوعي والتعامل مع المصطلح ولغة التخصص والتوثيق والتأصيل والتنظير والمنطق الذي يتكيء على المقدمات التي تفضي إلى نتائج والاهتمام بالواقع الأدبي الذي استقر في حقبة ماضية وتم تجاوزه [٣].

ويحرص الناقد الأكاديمي على مجاراة العصر تحقيقاً لرؤية الجامعة المتطلعة - دائماً - إلى المستقبل ، وتنفيذاً لاستراتيجيات النهوض لديها ، بالإقبال على تطبيق أحدث مناهج النقد الغربية ؛ مثل السيميائية ، والأسلوبية ، والتفكيكية ، وغيرها . وهى بجانب الشك في صلاحية تطبيقها على الأدب العربي ، فإنها قد نُقلت بلغة عصية على الفهم ، غريبة عن الذوق العربي ، مما أسهم بدوره في حالة من الجمود لايزال النص الأدبي معها في حاجة إلى من يكتشفه ، ولا يزال النقد الأدبي نفسه مفتقراً إلى المزيد من الجهد للنهوض بحركتي الأدب والنقد العربي . وهى جهود غير منقطعة ببدايات العصر الحديث ، ولا تزال أجيال النقاد تتسلم الراية ، وتكابد هموم التراجع عن مواكبة الحضارة .

وتُلقي هذه الدراسة الضوء على جانب من إسهامات النقد الأكاديمي المعاصر[٤] في سبيل اللحاق بحركة العولمة والتقدم ، بتأمل ملامح التفكير النهضوي لدى الباحث الأكاديمي بهذا الصدد .

وقد جاءت هذه الدراسة في ثلاثة محاور على النحو الآتي :

أولاً : تحديد الأزمة

لا يكاد يخلو كتاب في النقد التنظيري أو التطبيقي من تصدير أزمة النقد الأدبي العربي ، ولا يكاد يخلو- أيضاً - من تجسيد ملامح الجمود أوالتراجع عن التجديد أو النهوض بالنقد . والمدهش الصادم في هذا الأمر هو أنه مع تعاقب الأجيال ومر الأزمان تزداد الأزمة ضخامة وتعقيداً لا العكس بظاهر المنطق . فثمة تساؤلات تطل تلميحاً أو تصريحاً عن أسباب الوصول إلى تلك النتيجة مع كل ما تعاطاه النقد من الفكر الغربي، فضلاً عن أن نبلغ ذلك بأصولنا وذواتنا . والأكثر إدهاشاً من ذلك أن ظهور الأزمة جاء في مرحلة تالية لمحاولات الاستنهاض ونتيجة له . وقد يستلزم منطق الأشياء أن تكون النهضة ومحاولات بلوغها هى التي تلي الإحساس بالأزمة بوصفها أحد مخارج الخلاص والوصول .

وفي رأيي أنه يمكن التأريخ لبداية هذه الأزمة في البيئة العربية بتوجه الجيل الأول للنقاد في العصر الحديث صوب الغرب طلباً للتجديد في الأدب والنقد العربي بل وفي الحياة الثقافية كلها . على الرغم من أن مجريات الأحداث والتحرك الأكاديمي سواء بالبعثات العلمية إلى أوروبا أو بالاستعانة بأساتذة من المستشرقين ممن أسند إليهم التدريس في الجامعة المصرية وقتها - إضافة إلى وجود تحرك موازٍ خارج الجامعة - قد بشرت برياح الحضارة والنهضة والدماء الجديدة التي سرت في العقلية العربية في كل مناحي الحياة . في حين أنها كانت تنطوي على أزمة لم يدركها الكثير وقتها . ألم يكن الإحساس بالرجعية والتخلف والجمود أزمة ؟ ألم يكن التسلل المباح ثم السطو المشروع على نتاج الحضارة الغربية - وهى لا تلتقي مع العربية في أية نقطة - طمعاً فيما حصدته من ثمار لكي تنهض هى أزمة ؟ ألم يكن الظن بأنه لكي ننقذ مريضاً من موت محتمل نأخذ بعض أعضاء أو دماء شخص آخر مفعم بالصحة دون إجراء الفحوصات اللازمة أو التحاليل الدقيقة فتؤدي إلى موت مؤكد أزمة ؟ " إن مبدأ التطعيم معترف به في عالم النبات ، وبدأ الآن يغزو عالم الحيوان ، ولكن الشرط الضروري لنجاحه في هذين الفرعين هو نفس الشرط الذي ينبغي أن يتوافر في عالم المعرفة ومحاولة تطعيم الثقافات ، وهو قابلية الجسد الذي يراد إخصابه للمادة الوافدة ، وقدرته على تمثلها والتفاعل معها ، وفي حالة فقدان هذا المبدأ فإن النتيجة واحدة في الأمرين : أجزاء وافدة زاهية في البدء ، وبالتأكيد أكثر زهواً من الجسد الأصلي ، ولكنها ضامرة بعد حين قليل وملقاة في مخلفات الزمن "[٥] .

إن قراءة واقعنا تخبرنا بأن كل مرادفات التجديد والنهضة والحداثة والمعاصرة - مصطلحاً ومنهجاً - مرتبط بالغرب . وفي المقابل لم يحتفظ العرب سوى بلفظة واحدة هى (أزمة) وهى حصاد خطواتها نحو الغرب ." فقد كنا دائما تجاه التأثير الأوروبي في موقع المنفعل والمستهلك وليس الفاعل المنتج "[٦].

إن كثرة المؤلفات التي تحدثت عن هذه الأزمة ليست هى الدليل وحدها على وجودها ، ولكن يخبرنا بذلك - أيضاً - زخم المناهج الغربية المسترفدة ، والتبديل فيها بسرعة لا تسمح بالتقاط الأنفاس للاستيعاب والفهم والتطبيق أو اختبار صلاحية التطبيق " إن النقد الأدبي العربي المعاصر فقد هويته إذ اعتمد كلياً النقد الغربي ، وقد يضع نفسه في موضع إشكالي مزدوج : وهو يستعير الإشكالية من منبعها الأصلي ، وفي الوقت نفسه يضيف إليها إشكالاً جديداً متجلياً في عدم القدرة على الإبداع والابتكار بحكم هيمنة النقاد على العلماء ، فضلاً عن سعي النقد الأدبي المعاصر لمواكبة النقد الغربي أكثر من اهتمامه بإنتاج معرفة علمية بالإنتاج الأدبي الغربي المعاصر "[٧].

وإذا كانت تلك الأزمة هى محور اهتمام ومعاناة من النقاد عامة ، فإن الباحثين الأكاديميين من النقاد هم الأكثر تفاعلاً بها وإثارة لها ، بفعل العقلية العلمية المعنية بالتشريح والتفكيك والتشخيص للأزمات بوصفها أولى عتبات المعالجة . والكلام في الأزمة وفق منظور النقد الأكاديمي كثير ومتشعب ، و ربما يكون من الصواب اختزاله في عدة عناصر هى : المصطلح - المنهج – غموض اللغة .

ولا نستطيع مع هذا التجزيء للأزمة بوضعيتها في هذه العناصر نفي وجود الرابطة القوية التي تجمعهم ، فهى عناصر متشابكة يرتبط بعضها ببعض سواء في أسباب وجودها أو فيما أسفرت عنه من نواتج مؤثرة بدرجة بالغة في حركة النقد الأدبي . ولقد جمع المصطلح والمنهج إشكالية متمثلة في حالة الغموض الذي يلفهما معاً ؛ لأن هذه المناهج في أصلها غربية ، ونقلت إلينا مقطوعة من سياقها الثقافي والاجتماعي والحضاري ، ومن بيئة أخرى لا يجمعها بالبيئة العربية إلا الاختلاف والتباين . مما ترتب عليه فوضى المفاهيم وعشوائية الاستخدام وبخاصة في النقد التطبيقي . أما أزمة المصطلح فهى في حقيقتها " أزمة ثقافة وفكر بالدرجة الأولى ؛ لأن الناقد المعاصر لم يستوعب فكرة أن هذا المصطلح يحمل في ثناياه ذخيرة معرفية وفكرية للحضارة التي أنتجته ، والجهل بهذه الخصوصية سبب الأزمة ...والعيب أن ننقل دون إدراك الأصول والأبعاد ، وأن ننقل ما لا يلائمنا في شيء "[٨].

لكن وجدت - بالرغم من هذا التشابك بين هذه العناصر- ضرورة تناول كل عنصر بشكل متفرد عن الآخر لسببين : أولهما ، التركيز على تفاصيل الأزمة التي يتضمنها كل عنصر فيها ، فهى تحمل مع هذا خصوصية يحسن عدم إغفالها في عملية تفكيك الأزمة وتشخيصها . وثانيهما ، إلقاء الضوء على إسهامات بعض الأساتذة ممن ينتمون إلى المؤسسة الأكاديمية في الكشف عن دقائق الأزمة ، وبيان مدى التفاعل معها وحصرها سعياً منهم إلى إيجاد نقاط مضيئة في سبيل النهوض بالنقد أو الخروج به من المأزق . وهو صميم هذه الدراسة .

١ـ أزمة المصطلح

يمثل المصطلح النقدي المعاصر أحد جوانب أزمة النقد الأدبي العربي المعاصر . وقد عبر النقاد عن هذه الحقيقة بأوصاف مثل : فوضى المصطلح ، وأزمة المصطلح ، وقضية المصطلح ، ومشكلة المصطلح . وهذه المشكلة ليست طارئة على النقد الأدبي في النصف الثاني من القرن العشرين ، فقد كانت مطروحة منذ المواجهة الأولى مع الحضارة الغربية آواخر القرن الماضي ، مع حركة نقل آثار الفكر الغربي ، وما

استلزمه ذلك من نقل ألفاظ الحضارة والمدنية ومصطلحات العلم والأدب والفن . لكنها لم تكن حينذاك بهذا الشمول ولا بتلك الجسامة ولا بالإيقاع السريع الذي نشهده في هذا العصر[٩] .

وقد أرجعت العديد من الآراء أسباب أزمة المصطلح في أحد وجوهها إلى الترجمة ، حيث تتم في كثير من الأحيان - كما يرى الدكتور سيد البحراوي " دون وعي عميق بالأصول المعرفية والفلسفية والاجتماعية للنظرية المترجمة أو المفهوم المنقول ، مما يؤدي إلى فوضى واضحة في ترجمة المصطلحات نتاج عدم الدقة ونتاج عدم الفهم وعدم شمولية الرؤية "[١٠]. لأن النقاد العرب مازالوا في معظمهم ، ومنذ بداية العصر الحديث ، خارج الإنتاج المعرفي النقدي ، وظلوا أقرب إلى المتابعة والنقل والترجمة عن النظريات الأوروبية بصفة عامة . ويرى أن هذا وغيره من مشكلات النقد يؤدي إلى فقدان النقد الأدبي العربي إلى دوره الحقيقي في الحياة الثقافية العربية الحديثة والمعاصرة .

و لقد أكد الدكتور سعد مصلوح في دراساته على أهمية وجود ترجمات معتمدة يتولاها شيوخ العلم نفسه ، لأن هذا المنحى يغير كثيراً من مظاهر الاضطراب والخلل . وألقى بالنقد واللوم على مثل هذه الترجمات التي فيها منافع للناس لكن أثمها أكثر من نفعها ، لما تنطوي عليه في الغالب من تشويه للأصول ومن عقد الصلة بين الأفكار لأدني ملابسة ، واستفزاز لها من سياقها العلمي والثقافي على نحو يجعلها غير منتجة أو فاعلة ، وبما فيها من تلفيق ظاهر في أكثر الأحيان بين معطيات العلم الوافد والعلم الموروث[١١].

ولقد تناول أحد الباحثين تلك الأزمة في دراسة أكاديمية ، فرأى أن المصطلح المترجم لا يمت بقريب صلة بالمصطلح النقدي ، فهو لا يرقى إلى مستوى البحث العلمي . وهو ما يدل على مدى تواضع مستوى المترجمين ، وعدم إحاطتهم بالخلفية المعرفية التي يتكيء عليها المصطلح النقدي ، وأن ذلك بسبب إقبالهم على الترجمة الحرفية التي أحدثت نشازاً في لغة النقد . فقد أصبح هم الممارسات النقدية - الشاحبة بوصفه - استعراض أكبر عدد من المصطلحات الأجنبية ، حتى ولو كان بطريقة قسرية يغدو معها النص الإبداعي مسرحاً للتجريب ، ويفقد قيمته الجمالية التي طمستها الجداول والدوائر[١٢] .

فقد أدت فوضى ترجمة المصطلح النقدي ، وعدم ضبطه إلى سوء فهم للمصطلح ، وبالتالي خلط في المفاهيم التي تحملها النظريات النقدية , ونتيجة لتلك الفوضوية أصبحنا أمام عدة مصطلحات لنظرية واحدة ، أو العديد من الترجمات لمصطلح واحد ، ويرجع هذا إلى أن المترجم يستخدم المصطلحات التي يتبناها في رؤيته النقدية الخاصة . [١٣]

واهتم- كذلك -الدكتور محمود الربيعي بقضية المصطلح النقدي في دراساته ، يطرح أزمته والمشكلات التي تنتج عن عدم دقته وضبطه ، ويبين مدى الحاجة إلى وجود مصطلح و لغة علمية محددة تقي النقد الأدبي من العشوائية والادعاء . ويضرب المثل بالفروع الأخرى من الدراسات الإنسانية كالفلسفة وعلم النفس وعلم اللغة وعلم الاجتماع وقد سبقوا إلى ضبط مصطلحاتهم فكان كسباً ميز تلك الفروع ، ووضح حدودها واقترب بها من الموضوعية المنشودة في حين ظل النقد الأدبي يتعامل في الجانب الأكبر منه بلغة فضفاضة يعوزها الطابع العلمي . وقد ساعد هذا النوع من التعبير على فصل النقد الأدبي عن المد الحضاري نحو الموضوعية "[١٤].

ولقد كشف الدكتور عبد العزيز حمودة عن درجة أكثر تعقيداً في أزمة المصطلح ، حين رأى أنها " لم تكن أبداً أزمة مصطلح نقدي عربي ، فالمصطلحات التي أفرزتها الحداثة الغربية في تجلياتها في المدارس النقدية الحديثة من بنيوية وتفكيكية تثير أزمة عند قراء الحداثة الغربية ذاتها ، وتواجههم نفس

مشاكلنا مع الفارق ... فإذا كانت هناك أزمة مصطلح بهذه الخطورة بالنسبة للمتلقي من داخل الإطار الثقافي الذي أفرز هذا الفكر وتلك المذاهب النقدية ، فلابد أن أزمة المصطلح بالنسبة للمتلقي من خارج ذلك الإطار الثقافي أكثر خطورة وحدة " .[١٥]ويرى الدكتور أن النقاد الحداثيين قد فشلوا في نحت مصطلح جديد خاص بهم تمتد جذوره في واقعنا الثقافي العربي ، كما أنهم فشلوا في تنقية المصطلح الوافد من عوالقه الثقافية الغربية . وأن أزمتهم الحقيقية تتكشف حين ينقلون المصطلح النقدي الغربي ، فهم ينقلونه معزولاً عن خلفيته الفكرية والفلسفية التي تمنحه - لدي الغرب- شرعيته وتفسيره [١٦]. وهو من إشكاليات ما يعرف بهجرة المصطلح . وقد رأى أستاذ أكاديمي آخر أن عدم ضبط مفاهيم المصطلحات وتحديدها والاتفاق عليها يجعل من أزمة النقد الأدبي أزمة لا تنجلي ، يتوارثها أجيال الباحثين من الأكاديميين في بحوثهم العلمية وبخاصة أنها تقوم على مفاهيم المصطلحات سواء في الدراسات النظرية أو التطبيقية [١٧].

٢- أزمة المنهج

يقع في تصوري أن النقد الأدبي العربي قد بدأ بفراغ من المنهجية النقدية وانتهى - برغم ما تناوب عليه من مناهج غربية - إلى الفراغ نفسه ، وهذا صميم حالة التأزم أو المأزق العربي بهذا الصدد . فعندما هرول الجيل الأول - من الأكاديميين وغيرهم - من المهتمين بالدراسات الأدبية إلى الغرب ينهل من نواتج ثقافته وخلاصة نهضته كان في حالة فراغ وعوز وتعطش لسد هذا الاحتياج وملء هذا الفراغ ، وهو تحرك ليس مرفوضاً أو خاطئاً في مقدماته ودوافعه ، وبخاصة أنهم اتخذوا من النصوص الأدبية العربية مادة أساسية لإجراء النظريات الغربية عليها ؛ فمنهم من تأثر بالأدب والنقد الفرنسي مثل الدكتور طه حسين ، ومنهم من تأثر بالأدب والنقد الإنجليزي مثل العقاد ومدرسته . ولقد كان إقبال الجيل الأول من أساتذة الجامعة على مناهج الغرب ونظرياته أثراً لاستشعارهم أزمة فراغ ساحتهم من أدوات تؤهلهم للنهضة والتقدم ، الفراغ من منهجية علمية يعملون تحت مظلتها . وبفعل الميل الشخصي المتأثر بدراستهم الغربية ، بالتلقي المباشر بالسفر والبعثات مثل تأثر طه حسين بأستاذه " لانسون" في البحث الموضوعي بجانب الانطباعي عند تناول النص الأدبي ، وقد كانت وقتها تجديداً في الرؤية النقدية ، وكذلك الدكتور محمد مندور في تأثره بآلية التفكير النقدي الفرنسي عندما سنحت له الظروف بالابتعاث إلى فرنسا وقد كشف عن هذا في مقدمته كتاب " في الميزان الجديد" حيث قال : "منذ عودتي من أوروبا أخذت أفكر في الطريقة التي نستطيع بها أن ندخل الأدب العربي المعاصر في تيار الآداب العالمية وذلك من حيث موضوعاته ووسائله ومناهج دراسته على السواء ولقد كنت أومن بأن المنهج الفرنسي في معالجة الأدب هو أدق المناهج وأفعلها في النفس . وأساس ذلك المنهج هو ما يسمونه تفسير النصوص ، فالتعليم في فرنسا يقوم في جميع درجاته على قراءة النصوص المختارة من كبار الكتاب وتفسيرها والتعليق عليها ، وفي أثناء ذلك يتناول الأساتذة النظريات العامة والمباديء الأدبية واللغوية بالعرض عرضاً تطبيقياً تؤيده النصوص التي يشرحونها " [١٨].

وهذا التوجه الغربي - وقتها - قد اصطدم مع تيار آخر من خارج الجامعة اعتبر هذا التوجه خروجاً عن الشرعية الفكرية التي يُحدد مسارها المشروع العربي و الإسلامي . وقد مثل هذا الاتجاه سيد قطب - على الرغم من سفره إلى أمريكا مبعوثاً من وزارة المعارف - ومحمود شاكر والرافعي ، ولقد شهدت الساحة النقدية وقتها العديد من المعارك في منهجية النقد ومشروع التجديد والنهضة .

وقد واصل الباحث الأكاديمي توجهه نحو الغرب - بتأثير من بعثته العلمية ، وتأثير من الطبيعة الأكاديمية التي تسعى دائماً للتجديد والتطوير- لكن الغرب نفسه كان يوالي تصحيح مساره النقدي بما يلائم ظروفه ، فظهرت المناهج الحداثية وما بعدها وهى تختلف تمام الاختلاف مع المناهج الكلاسيكية . ونستطيع القول بأن هذه المناهج كلها تتجه نحو الأسلوب واللغة في النص الأدبي ، وبدأت تظهر المواقف الرافضة للمناهج القديمة التي تحوم حول النص دون الدخول فيه . ومنهم الدكتور سعد مصلوح الذي رأى " أن دائرة الخلاف كثيراً ما تتسع كلما بعدنا عن النص الأدبي ، وخضنا بالحديث في بيئة النص وعصره ، وحياة مؤلفه على ما هو سائد في النقد التاريخي ، أو حين يكون هدفنا الكشف عن نفسية المنشيء من خلال نصوصه ، أو حين نضع نقد المضمون في المحل الأول كما يفعل النقاد الأيديولوجيون . أما حين يكون النص هو محور الاهتمام ، وموضوع الدراسة فإن حديثنا يصبح أكثر التزاماً بموضوعية العلم واتباعاً لمواصفاته ومواضعاته المقررة "[١٩]. ويتفق معه الدكتور الربيعي في الانحياز إلى الدراسات الأسلوبية اللغوية- ولا شيء غيرها لديه عند تناول النص الأدبي - وهو دائماً يتبرأ من هذه المناهج الغربية - وإن كان لا يشجع على الجهل بها أو تجاهلها ، بل يرى فيها خطورة على الأدب العربي ، أو على الأقل يراها عائقاً يعرقل مسيرة النقد " يكون الناقد الأدبي السيكولوجي والسوسيولوجي والأسلوبي والبنيوي قد تنكب بفعله هذا الطريق السوي ، وضرب في الحيرة والتيه ، ومادام مستمراً في استيراد هذه المناهج دون تمييز وتطبيقها على النص العربي دون تصرف فسيجد نفسه يعاني مزيداً من الحيرة والتيه . وهو الآن ونتيجة لذلك في مفترق الطرق ...ومع سرعة تطور المناهج المستحدثة في الغرب ، وسرعة تدفقها إلى وطننا العربي تفاقم الضرر بازدياد اللهث وراء كل جديد وافد من الغرب ، الأمر الذي يظهر الحداثة والتقدمية ، ويخفي حقيقته التي هى التبعية وتحقير الذات " [٢٠]. فإذا كانت هذه الآراء قد أجمعت على وجود أزمة منهجية في النقد العربي ، سواء بعد العثور على ما يلائمه ، أو بالاستعانة بما لا يلائمه من نتاج الغير ، فإنهم أمعنوا وصولاً إلى جذور المشكلة . وهناك من الباحثين الأكاديميين من أكد على هذه الآراء ثم اقترب من تحليل حالة التأزم لدينا ، وقد أجابوا عن تساؤلات مفترضة مفادها : ما أسباب تراجع النقد الأدبي العربي حتى مع استرفاد كل هذه المناهج الغربية الجاهزة ؟ وكيف استطاع الغرب استحداث العديد من المناهج لديهم ، وتوليد بعضها من بعض في حين فشلنا نحن ؟ أما التساؤل الأول فجوابه قدمه الدكتور منصور الحازمي حين قال : " لقد كانت الآداب الأوروبية تتطور ببطء وتتجدد بتجدد مجتمعاتها وأحوال عمرانها ، أما الأدب العربي الحديث ، فقد كان - ولا يزال - يجتاز المسافات قفزاً ، ويطوي الزمن طياً . فكانت النتيجة أن ضعفت الصلة بين دعوات التجديد في الأدب العربي الحديث وبين واقع المجتمعات العربية التي لا تستطيع - مع الأسف - أن تتطور فكرياً بالسرعة التي تتطور بها نظريات الأدب المستوردة "[٢١] . وأما التساؤل الثاني فيعالجه الدكتور محمد حسن عبد الله حين رأى أن " هذه التقلبات المنهجية في الغرب لا تأتي اعتباطاً ، ولا هى نتيجة تأملات فلسفية تجريدية ، إنها تعبر عن حركة مجتمع يتمتع بالحرية ، ويملك طموحاته العلمية ويحققها ، وتتسع على يديه آفاق المعرفة بل آفاق العالم ، بالمخترعات والاكتشافات ، من ثم يتجدد الإبداع الأدبي ويشارك في إمداد الإنسان بما يبصره خارجياً وبما يعمق وعيه الداخلي نفسه ، فيتجدد النقد بدوره ليكون أكثر تنظيماً ودقة ، طامحاً إلى أن يكون علماً منضبطاً ".[٢٢]

٣- غموض اللغة :

بعد أن تولى أساتذة الجامعة من المتخصصين في النقد الأدبي مهمة تحديد أزمة النقد ورصد تفاصيلها والتي كان في مقدمتها المصطلح والمنهج ، أبرزوا واحدة من مشكلات النقد المعاصر هى لغة النقد ،

وكيف حال مع الوقت بين العمل الأدبي وجمهور المتلقين وأحياناً بينه وبين المتخصصين أنفسهم . وهو ما عبر عنه الدكتور أحمد درويش بصدد الاستعانة بالمناهج الحداثية ، والتي لا يمكن الادعاء معها أننا مجددون ونحن في واقع الأمر مجرد مرددون ما يقوله الآخر فقط ، ، يقول : " إن الكثير من الأفكار التي نقرأها بحروف عربية فنتشكك كثيراً في قدرة العين على الرؤية أو قدرة الذهن على الاستيعاب ، ونستحي في معظم الأحيان أن نعلن أننا غير فاهمين " [٢٣].

ويرى الدكتور وهب رومية أن المنحازين للمناهج الحداثية من النقاد وهم ما يطلق عليهم " النخبة" ؛ ينفردون بلغة متعالية متحزلقة لا يفهمها غيرهم فكتبوا " نقداً يحار فيه المتلقي ، فلا يستطيع أن يرده إلى علم منضبط الأصول والإجراءات ، ولا يستطيع أن يرده إلى مذهب نقدي بعينه . وانقطعت الصلة بين الموقف النقدي والموقف الاجتماعي ، وكان هذا الانقطاع آية التخبط والاضطراب ، وشاهد صدق على المآل الكئيب الذي آل إليه النقد الجديد "[٢٤].

ولدينا من الباحثين الأكاديميين من أتقن لغة أجنبية -واحدة على الأقل - وله نشاط بارز في الترجمة و تأثر بهذه (الأجواء) الغربية لغة وفكراً وميلاً ، حتى سيطرت على لغته في الكتابات النقدية ، فبدت مستعصية على الفهم ، منغلقة على نفسها ، ليس بما يورده من مصطلحات غير معربة أو غير مفهومة ، ولكن في لغته التعبيرية في التناول النقدي . ومنهم الدكتور سعد مصلوح ، والدكتور صلاح فضل ، والدكتور عبد السلام المسدي . في حين نجد أنه على الرغم من حصول غيرهم على الدرجة نفسها من إتقان الترجمة واللغات الأخرى ، فإنهم يرفضون هذه اللغة التي تتنافى - كما يرونها - مع دور النقد في إضاءة النصوص وتقريبها إلى المتلقي لا أن تزيدها غموضاً وإغلاقاً ومنهم الدكتور عبد العزيز حمودة والدكتور محمود الربيعي . أما الدكتور عبد العزيز حمودة فيرى أن غموض الكتابات الحداثية العربية نوعان : غموض غير مقصود - وهو لا يغتفر- لأن نتيجته تؤدي إلى تشويه الأفكار والمفاهيم الأصلية . وأسبابه التي لا تغتفر - هى الأخرى - هى تنشأ إما عن سوء فهم النص الحداثي وإما عن سوء نقله إلى العربية ، وفي معظم الأحيان عن الاثنين معاً . ولسوء الفهم أسبابه التي ترجع إلى أن الحداثة الغربية إفراز مباشر للفلسفة الغربية الحديثة عبر ثلاثة قرون من التحولات الفلسفية الكبرى . وإلى أن الغموض والمراوغة كانت اختياراً مقصوداً من الغربيين حتى تلفت لغة النقد النظر إلى نفسها , وغموض مقصود وهو مجاراة واعية مدركة لغموض النص الحداثي في لغته الأصلية هذا بفرض أن الحداثي العربي الذي يختار أسلوباً متعمداً قد فهم النص في لغته الأصلية بالكامل قبل أن يبدأ الكتابة بالعربية أما إذا لم يستطع فهم النص في لغته الأصلية - وكثيراً ما يحدث ذلك –فإن تعمد الغموض هنا يضيف خطيئة ثانية لا تغتفر إلى خطيئة أولى لا تغتفر هى الأخرى .[٢٥]

وأما الدكتور الربيعي فلا يفتأ يحارب هذه اللغة وهذا الغموض ، متخذاً منه موقفاً ثابتاً منذ بداية عهده بالكتابات النقدية ومنذ عمله بالجامعة . ويعلن ميله الدائم للأسلوب الواضح الذي يتراوح بين كون النقد علماً وإبداعاً ، دون إسفاف أو تعالٍ . لذلك لم يفته الالتفات إلى لغة الدكتور عبد السلام المسدي ، في كتابه " الحداثة بين الأدب والنقد " وقد كان من مختاراته في نقد النصوص ، فيقول عنه : " يجاهد المؤلف جهاداً عنيفاً في الفصل الأول ...محاولاً تقريب معنى مصطلح الحداثة إلى الأذهان . وهو لا ينكر الاضطراب الشديد الذي يحيط بالمصطلح ، ولكنه إذ يحاول تقديم بعض المفاهيم يضعنا في جو لا يخلو من غموض واضطراب " [٢٦]. ويقول بهذا الصدد أيضاً : " النقد الأدبي يعاني من مشكلات عدة ، أولها بالتناول على الإطلاق ما يتصل منها بلغته . ولغة النقد العربي الحديث موضوع طويل ومتشعب ، ولكن

ما يمكن ملاحظته دون تردد أن نوع اللغة التي استخدمها هذا النقد منذ بداية النهضة أسهم - ولا يزال يسهم - في توسيع الهوة بينه وبين ما يجب أن يتوافر من الموضوعية ، والدقة ، والانضباط "[٢٧] .

إن تحديدالأزمة مرحلة سابقة وضرورية تنطوي على امتلاك ما يساعد على الخروج منها ، وإبداء الاستعداد والجاهزية لطرح بدائل إيجابية أو ترميمات تعدل المسار . وإذا كنا في حاجة إلى ضبط المصطلحات والاتجاه بالدراسات النقدية نحو العلمية والموضوعية وإعادة قراءة ماسبق في ضوء الوضع الراهن المأزوم ، وليكن بالمسح العلمي الاستقرائي له. فإنه - ولا شك - أمر لا يقوم به إلا نظام أكاديمي مؤسسي . وقد انطوت هذه الالتفات التي جسدت حجم المشكلات التي تقف حجر عثرة في طريق النهضة في الدراسات النقدية على ما يمكن أن ننهض به في هذا المجال ، وهو في معظمه لا يمحو الجهود السابقة وإن كان يختلف معها في الكثير ، لكنها رؤى تحمل أفكاراً ومعالجات ومنافذ مضيئة للدخول في مستقبل أفضل . ويجب ألا يأخذنا الطموح حين نتتبع اللمحات النهضوية في النقد المؤسسي - نظرية وتطبيقاً - بعيداً عن استيعاب ما بين النهضة وحركة المجتمع والسياق الثقافي والحضاري من رباط طبيعي ووثيق . فقد يطول الأمد إذاً ؛ لذا فهى تُقَدم على سبيل أداء الدور المنوط بها .

ثانيا : التفكير النهضوي في التنظير

لا أدعي وأنا أتحرى الآراء التي حملت لمحات نهضوية ، وإسهامات لمرحلة مستقبلية أنني قد قدمت جديداً أو عرّفت ما لم يعرف ، إنما أصف هذه النقطة البحثية بأنها عملية تكثيف الضوء على هذا الجهد وتلك الآراء والمقترحات التي تقترب في مضمونها من التوصيات على سبيل ضمها في خط واحد لتتضح معالمها ، ويسهل - حين نبرزها - الرجوع إليها عند الحاجة .

إن النقد الأدبي داخل المؤسسة العلمية- مثل سائر العلوم الأخرى - يتبع خطة واضحة وثابتة تراعي التوازن بين القديم والحديث والمعاصر في مناهج الدراسة لمرحلة الليسانس ، وكذلك في مناهج الدراسات العليا ، وهى قابلة - بشكل مستمر يواكب المستحدثات - للتطوير بالحذف أو الإضافة ،لتمر بدرجة أخرى من الانتقاء والتنويع والتجديد من الأستاذ القائم على التدريس . والمؤسسة - كما هو معروف- تنحاز دائماً إلى المنهجية والتأصيل والعلمية ، ومن ثم فإن أساتذة النقد الأكاديمي مدربون على التفكير المنظم ، المنطقي ، ذي البعد الاستراتيجي في دراسة مستقبل العلوم [٢٨]. وفرع النقد الأدبي هو أحد العلوم الواسعة في تشابكها مع الكثير من المفردات الواقعية المتصلة بالوضع الاجتماعي والسياسي والثقافي والحضاري خارج أسوار الجامعة ؛ لذلك فقد تكالبت عليه النظريات والمناهجالغربية تأثراً بالمناخ العام ، وبحالة التخلف عن الحضارة والعالمية ، شأنه في ذلك شأن كل ما يمت بصلة للواقع العربي الذي لا يقدر ذاته كما ينبغي ، ولا يمنح نفسه الفرص في إثبات هذه الذات .إلا أن طبيعة الأكاديميين لا تعرف إلا العمل والمثابرة ولا ترضى بالانهزام في حضرة العلم .

إن المتتبع لخارطة إدارة موضوع أزمة النقد المعاصر- لدي المتخصصين الأكاديميين - في إطار إبداء وجهات النظر والمساهمات الممكنة - التي تختلف بثقافة ورؤية كل منهم - في طرح حلول ومعالجات ، إن لم تكن بقدر الطموح إلى التغيير والنهوض فتكون على سبيل تخفيف وطأة الأزمة وتحجيمها . وهى خارطة يعوزها تحديد المعالم ، والتصنيف ،والفصل بين المهم والأهم في أولويات الاحتياج إلى التنفيذ .

وأقدم فيما يأتي محاولة لتقسيم تلك الآراء التنويرية المرشدة إلى النهوض بالنقد المعاصر ، وإجمالها في خطوط عريضة كبرى ؛ رغبة في التحديد والتجميع والانتقاء والتصفية لما تناثر- وربما تاه - في

مؤلفاتهم ، وتجنيباً للتكرار الذي أراه سمة شملت هذه الجهود - بدرجة ما - إن لم تكن قد جنت عليها في بعض جوانبها : وهذا التقسيم على النحو الآتي :

١- ترميم ومعالجات

- **المصطلح وعلمية النقد:** " إذا أردنا أن نلحق بركب العلم ، وندخل بالدرس العربي مجال العصر الحديث ، فأول ما ينبغي العناية به ضبط مصطلحات فروع المعرفة ، وجعل اللغة العربية لغة دقيقة في شتى النواحي ، قادرة على استيعاب الأفكار ، مبرأة من التميع والإنشائية الزائفة . والنقد الأدبي مجال من أصح المجالات لامتحان هذه الناحية ، فهو تخصص دقيق من تخصصات الدرس الأدبي الحديث ، وهو يحتاج - لكي ينهض فيلحق بمثله من آداب الأمم المتقدمة - إلى نواح من التحرير والضبط تقع اللغة في مقدمتها " [٢٩]. إن هذ الربط بين ضبط المصطلح ، وتحديد مفهومه بالوصف بالعلمية أمر يشمل جميع فروع العلوم وليس النقد فحسب ؛ فإن ضبط المصطلح وتحديده هو أول درجات العلم ومتطلباته و " مفاتيح العلوم مصطلحاتها ، ولا يمكن تصور أى علم أو مجال بحث تصوراً صحيحاً ، بغير فهم جهازه الاصطلاحي وإدراك منظومة مفاهيمه "[٣٠]. فهما متلازمان . ويثير الدكتور الربيعي في كلامه قضيتين ، أولهما المصطلح وثانيهما علمية النقد . وهى مسألة مهمة ؛ لأن " النقد الأدبي الخالص هو الذي يكون مقياساً علمياً نقدياً يقاس به الإبداع ، ويميز به الثمين من الغث ، وفي غيابه أو انمياعه يبقى الإبداع الحقيقي مظلوماً كما يبقى الإبداع غير الحقيقي هو الطافي على السطح "[٣١].
وكذلك يرى الدكتور سعد مصلوح أنه لابد في دراسة الأدب من استيفاء شروط ومعايير موضوعية للقياس والوصف والاستنباط ، لكي يحتل النقد مكانه بين العلوم [٣٢].
وليس معنى القول بعلمية النقد نفي الجانب الأدبي والفني والإبداعي عنه ، إنما هو علم وفن . وهو بتعبير الأستاذ أحمد الشايب ، يتخذ موقفاً وسطاً بين العلم والفن بمعناه الدقيق أو هو فن منظم [٣٣]. ويؤكد الربيعي على تحقق هذا التوازن في النقد لطبيعته التي تحميه من خطر الوقوع في العلمية الصارمة الجافة بأن مادته الأولى هى الأدب الإبداعي وهذا يكفيه[٣٤] .
- **في منهجية النقد :** إن العثور على منهج نقدي عربي ظل - منذ حركة النهضة الأدبية في أخريات القرن التاسع عشر وحتى الآن - الغاية المنشودة على مر الأجيال واختلافها ، بيد أنها كانت غاية بعيدة المنال . فقد استيقظ الوعي العربي - والنقد جزء منه - منذ البواكير الأولى على الاحتياج إلى تجديد مماثل للنموذج الغربي ، لكن حركة النقل عنه - فيما أرى- سبقت بل جمدت الجهد الواجب وقتها في إنجاز مناهج خاصة بنا . وإذا تجاوزنا موقف نقاد الأجيال الأُوَل من مناهج الغرب ، فإننا نستطيع تصنيفهم في عصرنا الحاضر تصانيف أخرى - ربما لا تبعد كثيراً أو تختلف كثيراً عما سبق- وبخاصة بعد ثبوت فشل استخدام تلك المناهج الواحد تلو الآخر ، وإثبات التجارب عدم صلاحيتها عندنا هذا من جهة ، ولظهور مناهج كثيرة في الألسنية والدراسات الأسلوبية والمناهج المتصلة بالبنيوية وهى قريبة في تلاقيها بالتراث النقدي الذي اهتم بالتراكيب في النص مثل عبد القاهر الجرجاني في نظرية النظم من جهة أخرى ؛ لذا يكون التصنيف إلى اتجاهين فقط وهما يمثلان صورة الحاضر، فنجد اتجاهاً يميل إلى تلك المناهج متخيراً منها ما يروق له ويبدي القبول التام بها ، وآخراً يتخذ موقفاً رافضاً لها ، ينأى بنفسه عن استخدام ما يشوه طبيعة الأدب العربي ، ولا يرى مانعاً - في الوقت نفسه - من الاطلاع عليها وعدم الجهل بها ، وربما يتقبل بعض الآراء التي ليس بها ضرر ,و يمكن قبولها لعدم وجود

حواجز أدبية تمنع هذا . لكنه يسلك سبيلاً آخر في تبني المنهج الخاص به. وهى كما رأى محمود الربيعي أن كل منحاز لمنهج من مناهج التناول يتحمس له حماسة تبرزه وكأنه المنهج الصالح [٣٥].

أما **الاتجاه الأول** فيمكننا تمثله في الدكتور صلاح فضل الذي ارتضى من البنائية والأسلوبية والواقعية[٣٦]منهجاً نقدياً واستراح له . وهو إذ يطرح مثل هذه المناهج يرى أنها تمثل نوعاً من التلاقح العلمي الذي هو من أهم الضرورات الحيوية التي تعد من دلائل النضج والتقدم من خصائص عصور الازدهار[٣٧]. وكذلك الدكتور سعد مصلوح ، فهو يرى في إجراء المنهج الأسلوبي الإحصائي في النص الأدبي الذي اختص به كتاباً كاملاً في عرض هذا الرأى أنه " إسهام لساني في حل ما نحسبه أزمة آخذة بخناق الدرس الأدبي العربي المعاصر ، وهى قضية يتجاوز خطرها الجدل السائد حول الحداثة والتحديث إلى ضرورة تواصي أهل العلم بالعمل الدائب على ترسيخ أساليب المعالجة المنضبطة للنص الأدبي " [٣٨]

ومنهم - كذلك - الدكتور عبد الله الغذامي ، وهو ينتمي منهجياً إلى النقد الألسني ، وله نشاط ملموس في محاولات التجديد والنهوض بالدراسات الأدبية والنقدية والثقافية عامة . وقد تبنى مناهج الحداثة وما بعدها . فقد ضمن كتابه " الخطيئة والتكفير" أحدث هذه المناهج آنذاك ، وأحدث به ضجة كبرى في صفوف النقاد العرب . تناول في القسم الأول منه : نظرية البيان ، ومفاتيح النص (البنيوية والسيمولوجية والتشريحية) وتحدث عن أحد رواد هذه المدرسة (رولان بارت) ،ونظرية القراءة . وفي القسم الثاني درس شعر الشاعر السعودي المعاصر "حمزة شحاته" في ضوء هذه المناهج [٣٩]. ولأن الغذامي - كما في تصوري- يبحث دائماً عن قفزات يتجاوز بها أزمات النقد الأدبي المعاصرالممتدة ، فقد رأى أننا في حاجة إلى تجاوز النص الأدبي بوصفه بناءً جمالياً إلى محاولة استكشاف الأنساق الثقافية المضمرة ، ودراستها في سياقها الثقافي والسياسي والاجتماعي وما شابه ذلك ؛ لأن النقد الأدبي " قد أوقعنا في حالة من العمى الثقافي التام عن العيوب النسقية المختبئة تحت عباءة الجمالي...وبما أن النقد الأدبي غير مؤهل لكشف هذا الخلل الثقافي فقد كانت دعوتي بإعلان موت النقد الأدبي ، وإحلال النقد الثقافي مكانه "[٤٠]
والنقد الثقافي مؤسس على نقد ما بعد البنيوية وما بعد الحداثة حيث يأتي بوصفه مشروعاً نقدياً متنوعاً ، يستخدم أدوات النقد في مجالات أعمق وأعرض من مجرد الأدبية ، مجال ما وراء الأدب " [٤١]. ويعد عبد الله الغذامي رائد هذا الاتجاه من العرب ، حيث كانت بداياته عام ١٩٦٤م منذ أن تأسست مجموعة بيرمنجهام . ثم بدأ شيوع مثل هذا اللون من الاتجاه إلى الدراسات الثقافية في التسعينات - لدى الغرب - متصاحبة مع النظريات النقدية النصوصية والألسنية وتحولات ما بعد البنيوية [٤٢]. متأثرة ببعض النظريات الأحدث ،كنظرية ما بعد الحداثة ، والنقد النسوي ، والماركسية الجديدة ، والنقد الكولونيالي ، ونظرية التلقي ، والتفكيكية . ولقد كانت الأخيرة وما تقوم عليه من تقويض وتفكيك للنص الأدبي أثراً في تكوين النقد الثقافي ، فالغذامي يستهدف تقويض البلاغة والنقد الأدبي في النص ؛ لأنه - كما يقول - بلغ سن اليأس ، وحاله كحال البلاغة حين قال الشيخ أمين الخولي : إن البلاغة العربية قد نضجت حتى احترقت .والنقد الأدبي - كما يرى الغذامي- بمدارسه القديمة والحديثة لم يعد قادراً على تحقيق متطلبات التغير المعرفي والثقافي الضخم الذي نشهده الآن عالمياً وعربياً ، بما أننا جزء من العالم متأثرون به ومنفعلون بمتغيراته [٤٣]. و يهدف إلى كشف العيوب النسقية التي توجد في الثقافة والسلوك بعيداً عن الخصائص الجمالية الفنية .

أما الاتجاه الثاني : فيمثله الدكتور عبد العزيز حمودة الذي شارك بثلاثية [٤٤]من المؤلفات الداحضة للمناهج الغربية الرافضة لها ، الحداثية وما بعدها ، رفضاً معللاً بأسباب منطقية ، وثقافية لها وجاهتها . فقد توقف طويلاً بالعرض المستفيض في أزمة الحداثة العربية ، ونقلها عن الحداثة الغربية دون وعي بالفروق التي تجعل هذا النقل غير مقبول وغير مجد . ورأى أن " أزمة الحداثي العربي كامنة في تبنيه لمقولات نقدية أفرزها فكر فلسفي ندعي بأنه غريب علينا ...وأن التيارات النقدية لا تولد لقيطة كما حدث مع الحداثة العربية المستوردة " [٤٥].ويرى أن الطريق الصحيح يبدأ من العودة إلى التراث. وأن الحداثة العربية لا يمكن أن تتشكل خارج الثقافة العربية [٤٦]. وينتهي إلى الرأى بأننا فعلاً " بحاجة إلى حداثة حقيقية تهز الجمود وتدمر التخلف وتحقق الاستنارة ، لكنها يجب أن تكون حداثتنا نحن ، وليست نسخة شائهة من الحداثة الغربية "[٤٧] .

ويمكننا هنا إبراز بعض النقاط المضيئة في الرؤية التحليلية للأزمة الراهنة كما عرضها الدكتورعبد العزيز حمودة بصدد إمكانية التأسيس لنظرية عربية في النقد المعاصر ، وصنع الحداثة العربية المميزة لملامحنا وجذورنا العربية ، نوجزها فيما يأتي :

- إن تراثنا لو تمت قراءته وغربلته دون انبهار بمنجزات العقل الغربي (وكلمة انبهار هنا يحترز بها عن نفي ضرورة التأثر أو الاستفادة) سوف يتبقى منه الكثير الذي كان قادراً على تطوير نظرية لغوية ونظرية نقدية متكاملتين . وثمة حقيقة تاريخية يمكننا التعويل عليها وهى أن عصر النهضة الأوروبية قام ، في الدراسات اللغوية والنقدية على وصل ما انقطع مع التراث الغربي القديم (اليوناني والروماني) .
- إن أخطر ما فعلناه أننا استعرنا أو نقلنا مذاهب نقدية غربية هى بالدرجة الأولى إفراز أمزجة ثقافية وفلسفية لها خصوصيتها التي لا تتفق مع أمزجة الثقافة العربية .وهذا أدى إلى تعقيد الأزمة ، وتأخرنا في امتلاك المنهج أو النظرية العربية ، واضطرنا إلى قبول البديل الغربي دون اعتراض .
- إن اللغة العربية التي نستخدمها والتي يرى البعض أنها قاصرة عن التعبير عن الثورة الفكرية المعاصرة - وعلى رأسهم المستشرقون- هى نفسها اللغة التي عبرت عن الثورة الفكرية العربية في مجالات الرياضيات ، وعلوم الفلك ، والطب ، والفلسفة ، وتم نقلها إلى الثقافات الغربية عبر قنوات كثيرة ، أبرزها الوجود العربي في الأندلس ، لتسهم في تحقيق النهضة الأوروبية .
- إن القول بمحاولات البعض العودة إلى التراث والعكوف عليه للخلوص إلى نظرية عربية مدفوع بصحته ؛ لأنه على الرغم من زخم المكتبة العربية بالدراسات التراثية وبخاصة في الربع الأخير من القرن العشرين ،فإن الحداثيين الذين قاموا بتلك الدراسات كانوا ، عندما يلجأون إلى التنظير والتطبيق النقدي ، يتجاهلون دراساتهم التراثية ويستعيرون وينقلون المفاهيم الأجنبية بمصطلحاتها النقدية . فعودتهم إلى التراث لم تكن لتأسيس شرعية ذلك التراث ، بل لتأسيس شرعية الحاضر الحداثي ، تأكيداً للمفارقة اللافتة للنظر[٤٨] .

ويضم هذا الاتجاه الدكتور محمود الربيعي ، وهو - أيضاً - ممن أتقنوا الثقافة والفكر الغربي لغة وأدباً ، وله مواقف واضحة في كل مؤلفاته من الفكر الحداثي والمصطلحات الأجنبية الدخيلة المقحمة ، ولغة الخطاب النقدي الغامضة المتعالية والتي تبعد عن أهداف النقد العربي وطبيعته. وهى آراء سبق عرضها في مكان سابق في هذه الدراسة . إلا أننا نحاول استخلاص الفكر التنويري ، والآراء النهضوية للدكتور ،

وهى خلاصة نهج انتهجه منذ بداياته ، وأراها منطلقاً صحيحاً في سبيل النهضة الأدبية والنقدية والثقافية كذلك . وأظن أن أصحاب هذا الاتجاه هم المعنيون بما قاله الدكتور سيد البحراوي في هذا الصدد من أنه يتوقع إذا ما واصلوا طريقهم دون قمع أو إحباط أن يحققوا شيئاً مختلفاً قد يسهم في الخروج من الأزمة ، وأظنهم هم - أيضاً- من عناهم بأنهم حريصون على التعرف على الجديد في النقد الأوروبي ، لكنهم يتعاملون معه بقدر من الوعي بأصوله من ناحية ، وبنوعية احتياجهم إليه من ناحية أخرى ، ومن ثم بالقدرة على الاستفادة منه حتى في التطوير والإغناء ،عبر تخليص عناصره من محمولاتها الأيديولوجية كلما أمكن ذلك ، أو إدماجها في نسق جديد يحملها ملامح نسقهم المنهجي الخاص الساعي للتكامل . وإذا أمكن لهؤلاء أن يبنوا هذا النسق المنهجي الجديد على مزيد من تعميق وعيهم بأسئلة الواقع الاجتماعي ، فإن توجههم سوف يكون هو التوجه القادر على تحقيق المنهجية النقدية ، ومن ثم على المساهمة في حل أزمة النقد العربي المعاصر .[٤٩]

واتجاه الدكتور الربيعي في النقد ثابت لا يقبل الاستبدال أو التغيير ، أو التجديد المستند إلى غير ثقافة الناقد وأدواته المعرفية ، وخبرته الأدبية في التعامل مع النص الأدبي ، فالتناول النقدي يجب أن يكون من النص وإليه دون عوامل خارجة عنه . وشخصية الربيعي النقدية حاسمة واضحة في رفض(الأزياء والموضات الغربية) فيما يسمونه مناهج غربية . ورفضه هذا ليس رفضاً للانفتاح الثقافي والمعرفي على الغرب ، وليس موقفاً انعزالياً مقاطعاً ؛ لأن- فيما نعلم -الكثير من آرائه جاء أثراً لميله وتأثره ببعض أدباء ونقاد الغرب ، فموقفه موجه لمناهج يرى أنها لا تقدم " شيئاً مفيداً لحركة النقد الأدبي ، التي لن تستفيد إلا إذا نهضت على تطوير منهج موضوعي ناضج في تحليل النصوص "[٥٠].
إن تفكير الدكتور الربيعي بصدد منهجية النقد تفكيراً يستوعب مرونة النص الإبداعي ، ويتقبل التوسع بمزجه بالثقافات فيقبل ما يلائمه ، ويرفض غير ذلك ، هذا لمن أراد مواكبة العصر .[٥١]ومنشأ هذا لا ينصب على النص فحسب ، وإنما يرجع - في الوقت نفسه - إلى الناقد وأسلوبه في التعامل مع هذا النص ، فالدكتور " على وعى كامل بأن التطبيق الكثير المتكرر الذي يعنى بفحص الأدب ، وتفاعل عناصره ، هو الذي يوجد النظرية المستنبتة في أرض الثقافة العربية ، وأما الجرى وراء النظريات المستوردة الجاهزة بدعوى عالمية المعرفة ، وتفجر المعلومات ، وثورة الاتصالات ؛ فإنه لا يخلق ناقداً أدبياً ، أى لا يفسر أدباً ولا يشرح نصوصاً " ٥٢. أى أن النظرية تنبع من طبيعة الأدب نفسه ،وكأنها تتخلق داخل رحمه.
ويحسن - في رأيه - بمن يريد مواكبة العصر، وتقديم ما يتلائم مع طبيعة هذا الأدب ، أن يدرك أولاً أن مناهج الغرب ليست كلها سواء في القيمة ، أو في القدرة على إضاءة المتون الأدبية ، كما أنها - وهذا هو الأهم - ليست سواء في ملاءمتها لنصوص الأدب العربي . وأنه علينا في الدرس الأدبي أن ندخل العصر الحديث من الباب الذي يليق بنا ، ويحقق لنا أفضل النتائج .٥٣ وتكاد تتفق هذه الرؤية بين بعض ممن ينتسبون إلى المؤسسة الأكاديمية ، ولعلها تكون واضحة في تناول الدكتور محمد حسن عبد الله لبدايات الإنتاج القصصي - لدينا - دون اهتمام بالنظرية . فقد كان أقصى مطمحاً يتجسد في "مقدمة " لمجموعة قصصية أو لرواية ، ومثّل لذلك بمحمود تيمور في كتابه " فن القصص " ، ويرى أن هذا الإسهام المبكر دلالة على أن التقدم نحو الوعى النقدي قد يبدأ بالمبدع وليس بالمنظر[٥٤]. ونجد الرؤية نفسها لما بين النظرية والنص عند الدكتور أحمد درويش حين رأى أن ملاحظات النقاد في العمل الأدبي تنبع من العمل نفسه ، وهو الطريق " الذي سلكته النظريات التي أصبحت تقليدية في تاريخ الآداب ، فنظرية الشعر عند أرسطو هى نتاج تأمل طويل في تراث الشعر الإغريقي ، وآراء الحاتمي والآمدي والجرجاني وعبد

القاهر نابعة من تأمل طويل في أشعار المتنبي والبحتري وأبي تمام ومجمل التراث الشعري العربي من قبلهم ، وكذلك كان الشأن عند كبار النقاد في كل العصور"٥٥ .

٢ - تفكيراستراتيجي

لم تقف دراسات الباحثين من النقاد الأكاديميين عند تعديل مسار الرؤية النقدية في سبيل النهوض بالأدب والنقد فحسب ، بل اتسعت - وهو ما حملتهم عليه الطبيعة العلمية الأكاديمية - لتشمل توصيات ذات أبعاد استراتيجية في تجاوز حدود الأزمة ومأزق الانحدار إلى النهوض والوصول بالنقد إلى أفق رحبة مستقبلاً ، وأن يشق النقد المعاصر طريقاً نحو التقدم والازدهار. وأن يشكل اتجاهاً خاصاً مميزاً . وتتمثل - وفق رؤى النقاد - في **مضافرة الجهود** والعمل الجماعي[٥٦] الغائب دائماً عن المشهد العربي ، وهى خطوة أولى وكبرى نحو **المشروعات النهضوية**[٥٧] وقد أشار الدكتور صلاح فضل إلى هذا بصدد مشكلة المصطلح النقدي ، ويرى أنه " قد آن الآوان لمجامعنا العلمية والجامعية أن تتصدى لتيسير مهمة الباحثين وتوحيد اللغة التي يتحدثون بها ، لا بالتجاهل والعزلة المصطنعة ، وإنما بالممارسة الحية لوظيفتها الأساسية في عقد الندوات والملتقيات العلمية لمناقشة إشكالية المصطلح في دراساتنا الحديثة واقتراح الحلول والبدائل لها " [٥٨].وفي هذا الصدد - أيضاً - يؤكد الدكتور توفيق الزيدي على أهمية العمل الجماعي في اختصار الجهود وتكثيف ثمارها ، حيث دعا في ضبط المصطلح النقدي إلى تأسيس علم الاصطلاحية النقدية العربية ، فتكون الدراسة المصطلحية شاملة ، أى لا تقتصر على جهد ناقد بعينه ، مفصولاً عن النظام الاصطلاحي في الخطاب النقدي العربي ، بل يجب أن يكون العمل ضمن ذلك النظام . بأن يكون هناك من النقاد من يختص بالمصطلح فقط ، وتكون مهمتهم جمع المصطلحات النقدية العربية وخزنها ودراستها . ويشير إلى أسبقة الغرب في هذا على العرب ،إذ جعلوا الاصطلاحية درساً قاراً في جامعاتهم وخصصوا للتكوين الاصطلاحي مشاريع مفصلة البرامج [٥٩].

ويرى الدكتور محمد حسن عبد الله أن أسلوب البحث الجماعي هو عنصر غائب عن المؤسسات العلمية ، وبخاصة الجامعة . وأن هذا الغياب مترتب على غياب التخطيط من الأصل ، فحيث لا خطة مرسومة ، ولا خطوات متراتبة تنظم الأداء ، ولا أهداف محددة يتجه العمل إلى إنجازها . وأن جماعية العمل ليست اختياراً أو ترفاً ، إنها أسلوب حضارة التقدم وكلمة السر في إنجاز المشروعات الكبرى ، وليس لها بديل . ويرى أن هذا لن يتحقق بغير التخطيط المعلن ، المتفق عليه ، والذي يمثل مصلحة عليا للأمة . هذا بوجه عام في مجال البحث العلمي ، واختص النقد الأدبي بحديث آخر عن مشروعات نقدية ،تلك التي مثلتها جهود الدكتور شوقي ضيف الذي صنع موسوعة كاملة خاصة بالأدب والأدباء [٦٠].

ويبدأ الدكتورمحمود الربيعي فكرة العمل الجماعي بضرورة تخصيص كل الجهد المخلص الصابر الكفء للقراءة النصية ، وذلك لـتأصيل تقاليد القراءة النقدية الفاحصة ، التي تقوم بها مجموعة من النقاد المؤهلين، عبر جيل أو أكثر من الزمان . وأن هذا يمكنه أن يخلص إلى نظرية عربية في النقد ، تميز النقد العربي عن غيره . لينتهي الدكتور إلى مشروعات قومية أكبر وأوسع لترسيخ المنهج اللغوي في دراسة الأدب العربي ، تشمل :

١- تضافر الجهود حول مناهج اللغة العربية منذ مراحل التعليم الأولى .
٢- اعتبار اللسان العربي نوعاً من احترام النفس ، وتأكيد الذات ، لا كما عليه الحال الآن من اعتباره علامة فشل اجتماعي أو تخلف حضاري ، وذلك أمر يحتاج إلى توعية مدنية تجعل من المشروع الوطني لمحو الأمية والأمية الثقافية ضرورة وجود ، وأمر حياة أو موت للأمة بأسرها .
٣- تعاون الباحثين في شتى المجالات على تبني المناهج الوصفية التحليلية في شتى الفروع المعرفية.
٤- إقدام علماء اللغة في جسارة نحو تنفيذ المعجم اللغوي التاريخي.
٥- العمل على عدم التفتيت المعرفي في أمر الثقافة العربية ، وإنهاء أسطورة الفصل بين فروع الدرس العربي بدعوى التخصص [٦١].

ثالثا : (نموذج تطبيقى)

اتجه البحث الأكاديمي منذ بداياته - حتى الآن - إلى استرفاد مناهج نقدية غربية تعيد اكتشاف تراثنا العربي وفق منظور كل منهج منها، ولقد كان الشعر العربي - وهو أول منتج أدبي عربي وأعلاه قيمة - مجالاً خصباً للتطبيق عليه ، وكان يبدو مع كل منهج - كلاسيكي أو حداثي - بلون جديد ، وهيئة مختلفة ، بما يمكن أن يصور لنا رفض أو قبول هذه النصوص لها . لذلك منها ما استمر قليلاً ومنها ما تلاشى ومنها ما تقبله على مضض . وكان المنهج الذي يتوارى يكتب شهادة ميلاد لغيره أملاً في العثور على الضالة. حتى ضجت النصوص ، وضجت المناهج ، وضج النقاد فخرجوا بمحاولات أخرى مغايرة تماماً لما قبلها ، سعياً إلى مواكبة الحضارة والتقدم والعولمة ، بتعديل مسار الخطاب الشعري ليصبح أكثر مواءمة لعصر الانفتاح والتكنولوجيا والتماهي الثقافي والمعرفي واللغوي . فلم تعد حدود التشكيل الجمالي والبلاغي للمخزون الأدبي - لدى البعض - صالحة لهذا الزمان . ولم يعد بذل الجهد في اكتشاف ظواهر الأسلوب ، أو جماليات الأنساق اللغوية كافياً . وظهر النقد الحضاري أو الثقافي بديلاً منهجياً للنقد الأدبي . وهو ما رأى فيه الدكتور عبد الله الغذامي مشروعاً نقدياً عربياً أكثر ملاءمة للمرحلة . وفي التطبيقات التي أجراها على المستوى الثقافي في قراءة النصوص ، ومحاولة تقديمها بمنظور مغاير يحاول الدكتور- وبخاصة في كتابه النقد الثقافي - تثبيت دعائم هذا الاتجاه ، وتقديم مسوغات إعلان موت النقد الأدبي .فقرر أن ما يتراءى لنا جمالياً وحداثياً في مقياس الدرس الأدبي هو رجعي في مقياس النقد الثقافي ، ومثال ذلك ؛ أبو تمام والمتنبي وأدونيس ونزار قباني ، وهى أمثلة على الجمالي الشعري ، وهى أيضاً أمثلة على الخلل النسقي [٦٢].

والنقد الثقافي بوصفه أحد فروع النقد النصوصي ، فهو أحد علوم الألسنية المعنية بنقد الأنساق ، لكن الأنساق المضمرة التي ينطوي عليها الخطاب الثقافي ، وهو معني بكشف لا الجمالي ، كما هو شأن النقد الأدبي . وإنما همه كشف المخبوء تحته أقنعة البلاغي الجمالي .

وتطبيقاً على هذا المفهوم يتوقف الغذامي عند عنصر المبالغة وعلاقته بالبلاغة وجمال القول الشعري ، وشبيهتها في المقصدية مقولة : إن أجمل الشعر أكذبه ، ليعرض من خلالها مدى عزل اللغة عن التفكير ، وإعطاء الجمالي قيمة تتعالى على العقلي الفكري ، ليس في الشعر فحسب ، بل إن ذلك صبغ الشخصية الثقافية للأمة التي ظللنا نصفها ونصف لغتها بالشاعرة وبالشاعرية . وتركنا الباقي على النسق كي يفعل فعله فينا وفي ضميرنا الحضاري [٦٣].

ويتوقف - كذلك - عند بعض النماذج الشعرية والنثرية مثل الخطابة والمقامة لتشريح الأنساق الثقافية فيها ، والتي يرى فيها المكونات الأصلية للشخصية العربية التي صاغها الشعر صياغة سلبية تَخَلّق من ورائها أنماط سلوكية وثقافية ظلت هى العلامة الراسخة في قديمنا وحديثنا . ويرى من خلالها أن هذا الشعر لاشك في جمالياته العظيمة إلا أنه يخبيء قبحيات عظيمة أيضاً ؛ ومن هذه الصور الثقافية :

١- شخصية الشحاذ البليغ (الشاعر المداح) .
٢- شخصية المنافق المثقف (الشاعر المداح أيضاً).
٣- شخصية الطاغية (الأنا الفحولية) .
٤- شخصية الشرير المرعب الذي عداوته بئس المقتنى (الشاعر الهجاء) .

فالقيم الشعرية هى قيم في البغي والاستكبار والفخر بالأصل القبلي . وهذه هى الحالة منذ عمرو بن كلثوم المتباهي بالظلم والتسلط إلى زهير بن أبي سلمى الحكيم الذي يقول : من لا يظلم الناس يُظلم . وثمة تحول وقع في مرحلة ما من مراحل التحولات في العصر الجاهلي . ونتج عنه أن الشعر تحول من كونه صوتاً جماعياً يتحدث باسم القبيلة إلى متحدث باسم الفرد ، وهو ما يعزز قيم الفردية والمصلحة الخاصة . ومعلقة عمرو بن كلثوم مثالاً لذلك ، ومن أبياته بهذا الصدد :

لنا الدنيا ومن أمسى عليها ونبطش حين نبطش قادرينا

بغاة ظـالـمين وما ظُلمنا ولـكـنا سـنبدأ ظـالـمـيـنا

ونشرب إن وردنا الماء صفواً ويشرب غيرنا كدراً وطيناً

والجملة التي هى أم الجمل كلها :

ألا لا يـجـهـلـن أحـد عـلينا فنجهل فوق جهل الجاهلين

وهى الجملة الولود التي أفرزت سائر الجمل النسقية الأخرى ، وارتكزت في الثقافة ، حتى أن الشاعر أحمد عبد المعطي حجازي ردد هذا البيت في لقاء تليفزيوني ، موجهاً التهديد لزميله الشاعر أدونيس ، تماماً مثلما فعل جرير والفرزدق أحدهما مع الآخر ، وتماماً مثل ما يتردد في الخطاب السياسي والإعلامي ، وفي اللغة الرياضية السائدة، كل ذلك من سلالة ثقافية نسقية واحدة .النحن القبلية هى الأصل للأنا الشعرية ، وهى النحن المتضخمة أصلاً والنافية للآخر . وحينما يقول جرير :

أنا الدهر يفنى الموت والدهر خالد فجئني بمثل الدهر شيئاً يطاوله

فإنه يستند إلى رصيد ثقافي متجذر تقوم فيه الأنا مقاماً أساسياً وجوهرياً ، ويعتمد على هذه الأنا اعتماداً مصيرياً إلى درجة يصبح معها هذا القول هو الجملة الثقافية ليس للشاعر فحسب وإنما للثقافة ككل . وهو ما أطلق عليه الغذامي (اختراع الفحل) وتضخيم الذات والأنا التي استمدت تضخم الفحولة عندها من النحن . وقد وصلت للمتنبي ويعد هو المترجم الأكبر للضمير النسقي: أنا / نحن ، مما يجعله شاعرنا الأول (الأب النسقي) ، ويحتل الصدارة في الخطاب النسقي ، فهو القائل :

١- وإني لنجم تهتدي بي صحبتي إذا حال من دون النجوم سحاب

غني عن الأوطان لا يستفزني إلـى بلـد سافـرت مـنه إيـاب

٢- أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعت كلماتي من به صمم
٣- وما الدهر إلا من رواة قصائدي إذا قلت شعراً أصبح الدهر منشداً
٤- ودع كل صوت غير صوتي فإنني أنا الصائح المحكي والآخر الصدى

وفي إجراءات الغذامي يحلل انتقال موروث النحن إلى الأنا في صورة الفحل - منطق ابن سلام الجمحي في المفاضلة بين الشعراء - بالتمثيل بأدونيس (الحفيد الفحل) . حيث خلا معجم البابطين للشعراء من اسمه ؛ لأنه - كما روى معدو المعجم- اشترط أن يختار هو الأسماء التي تصحبه في المعجم ، وما لم يتحقق ذلك فإنه يرفض المشاركة فيه . وكيف له أن يرضى بما لم يرض به جده المتنبي الذي ما كان يرى الآخرين سوى زعنفة وحفنة من المتشاعرين ، كما هى شروط النسق الذي يقوم على إنكار الآخر في سبيل تعزيز الذات .

ويرى - كذلك - في أحد وجوه تعريف ابن المقفع للبلاغة: تصوير الحق في صورة الباطل ، أنها جملة ثقافية نسقية أيضاً ، وهى جملة مركزية في تكوين النسق الدلالي . إذ عبر هذا التصور تمركزت هذه المقولة لتكون الأساس النظري للبيان اللغوي .

وأخذ الغذامي في تقديم هذه النماذج التي شكلت الشخصية العربية في أنسقة ثقافية متجذرة ، وهى التي أفرزت شخصية الشحاذ والكذاب والمنافق والطماع ، من جهة ، وشخصية الفرد المتوحد فحل الفحول ذي الأنا النافية للآخر من جهة ثانية . وصارت نموذجاً سلوكياً - انتقل من الخطاب الشعري إلى الخطابات الأخرى - يعاد إنتاجه بما إنه نسق منغرس في الوجدان الثقافي .

وبنفس المنظور الثقافي في قراءة النصوص الأدبية ، يطرح الغذامي نمطاً آخر للقراءة باعتبار ما أسماه (الجنوسة) أو العلاقات بين الرجل والمرأة. حيث يحل النسق الثقافي محل المؤلف شاعراً كان أو راوية ، ونفي الخطاب قصيدة كانت أو حكاية ، وإحلاله بوصفه مجازاً كلياً ، وتورية ثقافية محل التحليل والتنسيق ، أى استنباط النسق . فالخطاب في النص مجازي وفيه تورية ثقافية تتحكم في صناعة التصورأو تشكيل الصور الذهنية .فالمرأة في حكايات العشق الشعري كائن مجازي ،والخطاب الشعري في هذه القصص مجازي وغير حقيقي . وأسماء النساء في هذه القصص مثل ، أسماء ، هند ، لبنى ، عفراء ، سلمى وغيرها في الغالب هى أسماء غير حقيقية ، وكذلك السمات التى تحملها هذه المرأة منظومة من التزويروالتلفيق. فالخطاب المضمرفي قصص العشق يقوم على فحولة الرجل أمام تهميش المرأة .وفي قول إبراهيم ناجي من قصيدة الأطلال :

أيها الجبار هل تُصرع من أجل امرأة ؟!

جملة ثقافية تتكلم باسم النسق الفحل الذي لا يرى الكائن الآخر إلا كائناً هامشياً . فالرجل - في الخطاب الشعري - إذا عشق فقد أول ما يفقد فحولته ثم يفقد عقله ثم يفقد حياته ، ويتحول إلى كائن شاذ اجتماعياً وكأنما هو منبوذ ، ويتحول إلى حكاية للتندر والأنس . فهناك تصور مضمر أن الحب ناقض للرجولة . والنساء إذا ما وقع فيهن الرجل فإنهن :

يصرعن ذا اللب حتى لا حراك به وهن أضعف خلق الله إنساناً

وذلك بحسب ما قال جرير ، وأكدته الثقافة بوصف هذا البيت أغزل بيت قالته العرب . وكان جميل بثينة قد أشار إلى الوقوع في الحب بوصفه موتاً ، وقال بيته الذي هو أحد قوانين الحب :

خليلى فيما عشتما هل رأيتما قتيلاً بكى من حب قاتله قبلي

وهذه ليست دعوة فردية ، بل لقد جرى تصويرها على أنها بيان ثقافي .[٦٤]

وبعد أن يستعرض الدكتور الغذامي مشروعه في النقد الثقافي ، يقدمه على أنه منجز صنعته مدونة مكتنزة بالنظريات التي أنتجها النقد الألسني - والنقد الثقافي أحد منتجاته - وأنضجه جيل الثراء المعرفي النقدي . ويتساءل عن مستقبل هذه المدونة : هل بلغت سقفها أم صنعت سطحاً يمثل منصة الانطلاق ؟ [٦٥]

تعـقـيـب:

وبعد، فتلك جهود علمية جادة بصدد النهوض بالنقد الأدبي في الإطار الأكاديمي ، بما تحمله من مسؤولية تجاه الأدب - وهوأحد أهم فروع المعرفة والثقافة والفكر الذي يعكس الوجه الحضاري للأمم - وبما تحمله من استعداد وإمكانات في البحث والتفنيد والترتيب والتنسيق والتقعيد والتأطير سعياً إلى الحقائق والمقاربات الصحيحة الملائمة . وقد تركزت هذه الجهود - وفق هذا البحث- في محاولة إيجاد منهج نقدي ليست مشكلته أن يكون عربياً ، ولكن أن يحمل مقومات الثبات والاستمرار والصلاحية والتلاؤم وهذا ما لم يفز به الأدب العربي لدينا حتى مع ما استُرفد من مناهج غربية .وبتأمل تلك الجهود بهذا الصدد يمكننا تقديمها بوصفها خطوات واسعة في المسار الصحيح لما تصبو إليه العقلية العربية بشأن النقد الأدبي خاصة ، وربما أحاطت بها بياناً المفردات الآتية :

١- **نقد النقد:** بعيداً عن تحرير المفهوم والتأصيل والتطور ، فإن ما يعرف حديثاً بنقد النقد - في رأيي - هو خطوة مهمة لا يمكن تقزيمها ليس في مجال النقد وحسب ولكن في مجالات أخرى متعددة ؛ لأنها تمثل الرأى الآخر والصوت الآخر بمضاهاة ما يطرح في سرد الآراء والدراسات والرؤى . فالحياة الثقافية والنقدية " تحيا بالرأى الآخر ، وتموت بالرأى الواحد "[٦٦].
نمثل في أحدث ظهور له بثلاث تجارب بينها تمايز نوعي ، ربما تصور أكثر من غيرها خلاصة جهود الباحثين الأكاديميين بهذ الصدد :
أولها : كتاب الدكتور عبد العزيز حمودة (المرايا المحدبة) وقد كان نموذجاً علمياً هادئاً في بسط رؤيته الناقدة لتاريخ طويل في النقد الحداثي .

ثانيها : العرض الذي قدمه الدكتور محمود الربيعي لكتاب (المرايا المحدبة) ، وقد كان فصلاً في كتاب . هذا أولاً ، لم يتشكل في سمت نقد النقد الصريح ثانياً ، ولكن جاء لمهمة واحدة مباشرة هى عرض لمحتوى الكتاب ، و أنه لا يمكن في الوقت نفسه إلا إدراجه في نقد النقد بصورته المغايرة للعداء والهجوم ورفض الآخر ثالثاً . وهو في ذاته علامة مضيئة في هذا السبيل ، تأخذنا في اتجاهات أكثر رحابة من المنظور الضيق لنقد النقد وبأقصر طريق ، وبخاصة إذا ما كان هذا العرض لا يخلو من إبداء الرأى والتوجيه. وهو رابعاً يحمل رسالة تحفيزية تستفز الهمم والعقول في إثراء النقد والأدب بالنقاش العلمي المنهجي لكتاب الدكتور عبد العزيز حمودة ، التي يراها شهادة أو أراء تستند إلى اجتهاد في البرهنة على صحتها، يجب ألا تواجه بالصمت أو بالكلام في الدهاليز أو بالكلام الساخر المتعالى مما يجافي طبيعة البحث عن الحقيقة . وهو فرصة سانحة للحداثيين يدافعون فيها عن اتجاههم ، ويدفعون عنه الشبه التي يثيرها الكتاب [٦٧].

ثالثها : النموذج المتفرد في كتاب (نقد ثقافي أم نقد أدبي)[٦٨] وقد تضمن الرأى والرأى الآخر في كتاب واحد ، وهى محاولة جيدة ؛ لأنها احتفظت بالسياق المكاني والزمني والذهني في مضاهاة الآراء بعضها ببعض . وهو تجربة مثمرة في تقديم صورة للحوار العلمي بعيداً عن الصراع بين التيارات المتباينة ، وتبرز نقاط الاختلاف بين التيارات المتباينة لا الخلاف . حيث قُسم الكتاب إلى قسمين : القسم الأول (المباحث) :

- المبحث الأول : إعلان موت النقد الأدبي للدكتور عبد الله الغذامي .
- المبحث الثاني : بل نقد أدبي للدكتور عبد النبي اصطيف .

القسم الثاني (التعقيبات) :

- تعقيب على مبحث بل نقد أدبي للغذامي .
- تعقيب على مبحث موت النقد الأدبي للدكتور عبد النبي اصطيف .

٢- النقد والنظرية الأدبية :

ربما يكون في تحديد المفاهيم بين بعض المسميات الكبرى مثل ؛ النقد الأدبي والمنهج الأدبي والنظرية الأدبية ، والفصل بينها بما تحمله من أهداف وأدوار بصدد الأدب ما يختصر جهداً كبيراً في تتبع مشكلات النقد المعاصر ، ويقصر السبل في وضع رؤية مستقبلية . وهو أمر معلوم ومطروق غير أنه في حاجة إلى إبرازه ولو في عجالة.

ويمكننا تقديم بعض المعطيات اللازمة فيما يأتي :

- يسبق النقد الأدبي المنهج والنظرية زمناً ، وهو مواكب للأدب غير منفصل عنه منذ وجد . وظل أزماناً مهيمناً وحده على النص الأدبي ، إلى أن استلزم عصر النهضة تجديداً وتطويراً في رؤية النص أو العمل الأدبي ، فظهرت العديد من الاتجاهات الثقافية والفلسفية الحاضنة لنظرية معينة في الأدب ما أسفر عن العديد من مناهج النقد .ويعد الدكتور طه حسين - فيما أرى - أبرز- لا أول - من نقل إلينا رؤية للأدب مغايرة لما سبق بمعايير النقد الأدبي القائمة على تقييم النص وتقويمه ، وتمييز مواطن الجمال فيه من القبح ، أو الجودة من الرداءة استناداً إلى الذوق والميول الخاصة . فكان الاهتمام ليس بالنص ولكن بما يدور حول العمل الأدبي ، وما يتصل به من عوامل خارجه ، بالنظر إلى العصروالبيئة والحياة الاجتماعية والعقلية . ومن هذه النظرية الأدبية كان إعمال منهج الشك الديكارتي ، وظهورالمناهج السياقية مثل ؛ التاريخي ، والاجتماعي ، والنفسي . واستكمل بعده على نفس المنوال في النقل والاسترفاد جيل يتبنى نظرية أدبية تهتم ببنية النص ، فكانت مناهج البنيوية والأسلوبية والتفكيكية وغيرها ، ويمكن أن يدرج معه ما يسمى بالنقد النسائي . وفي قفزة للنظريات الأدبية ظهر في سياقها النقد الثقافي والحضاري .
- نستطيع القول بأن المؤسسة العلمية المتمثلة في الجامعة قد تميل إلى النظرية أكثر من النقد الأدبي ، بحكم التكوين العلمي ، والأهداف التوسعية المؤسسة على وضع الضوابط والمعايير الحاكمة ، التي تهتم بالدراسة المنهجية لطبيعة الأدب ، والبحث في وسائل تحليله وتفسيره من جوانبه كافة بالتفاعل مع العلوم الأخرى ، وبالغاية التعليمية . وهو ما يكون شكلاً متقدماً عن حدود النقد . فالنظرية كما وصفها كالِر : تقوم على فروع معرفية متداخلة ، خطاب له تأثيراته خارج حقله

المعرفي الأصلي . وهى تحليلية تأملية ، وهى تفكير حول التفكير ، تقصٍ للمقولات التي نستخدمها في فهم الأشياء في الأدب وفي ممارسات الخطاب الأخرى [٦٩]. فيتخذ الأستاذ الجامعي - بذلك - دور المُنظر وليس الناقد.

- النظرية الأدبية تقوم على الافتراضات والشك والتأمل ، ليس لها حدود وليس لها نهاية . وهى دائماً تمثل للعمل الأدبي مشروعاً مستقبلاً لا يتحقق في حينه ولا يكتمل . وظلت أجيال من الأكاديميين يتبنون من خلالها المناهج النقدية ، ويختلفون فيما بينهم حسب ما يتبنونه من نظرية . ومع كل هذا فالمناهج النقدية وما أُسست عليه من نظريات جميعها نتاج التفكير الغربي ، ولم تسهم حتى في تشكيل ملامح لنظرية عربية خالصة ، وبخاصة بعد تداعي المناهج واحداً تلو الآخر . فكما هو معلوم فهذه المناهج النقدية الغربية فرضتها ظروف محددة عاشتها تلك المجتمعات ؛ لأن كل تغير في مجال الفكر والفن لا يحدث بمعزل عن القوى الأخرى الفعالة في المجتمع . ولذلك كانت ولادة هذه المناهج وتطورها يحدث بصورة طبيعية ، أما عندما عمدنا إلى نقل هذه الاتجاهات النقدية الجديدة دون تأمين الوسط المناسب ، فإننا نكون قد حكمنا عليها بالموت سلفاً .[٧٠]
- بالرغم من كل جهود الباحثين من الأكاديميين وغيرهم ، في سبيل النهوض بالنقد الأدبي ، وبالرغم من السعي الدؤوب ، والطموح المشروع في تكوين مناهج عربية ، فإن النقد العربي حتى عصرنا هذا لم يستطع - أولاً- تطوير النقد العربي القديم ، ولم يستطع - ثانياً - أن يتمثل مناهج النقد الغربي الحديث ، ولا - ثالثاً - أن يخلق منهجاً نقدياً عربياً جديداً يستمد خصوصيته من خصوصية علاقته بواقعية دون أن ينقطع عن المناهج النقدية العالمية .[٧١]

فهل يمكننا ذلك مستقبلاً ؟ وكيف السبيل إليه ؟

٣- تعديل المسار :

في سياق استيضاح البحث في شأن النقد الأدبي مستقبلاً ، وتحليل أسباب التراجع أو الجمود ، وطرح رؤية ملائمة تحمل مقومات البقاء فضلاً عن امتلاك عوامل التطور، يستلزم الأمر شيئاً من الجرأة في التناول ، جرأة لا تعبأ بشبهة الاتهام بالرجعية باستحضار بعض الرؤى التي هوجمت فيما مضى .وبخاصة إذا تسلحت هذه الجرأة بما يسندها من آراء لبعض الذين لا يمكن وصفهم بالرجعية . ويقوم هذا التناول على محاولة تصحيح المسار وتحديد نقطة الخروج عن هذا المسار من قبل ، وهو ما ينسب في الوقت نفسه للمؤسسة الجامعية ، ويحسب ضمن إسهامات الباحثين فيها من الأساتذة من ذوي الرؤى الواضحة المعروفة في هذا الصدد .

ويمكننا التصنيف في التناول على نحو يحترز عن التشتت والتشعب والإخلال :

أولاً البعد الثقافي: إن مجال الأدب والنقد - كما هو معلوم - غير منفصل عن الحياة الثقافية لأية أمة من الأمم ، بل يمثل أعلى نموذجاً لها ، دالاً عليها . والرؤية الثقافية في قراءة الواقع تحدثنا بوضعية النقد الحاضرة التي تنضم إلى الحالة العامة المتآكلة في كل المجالات . وإن محاولة النهوض به لا يمكن تحققها إلا في هذا السياق الكلي في التغيير . والأمر يحتاج إلى شيء من التمهل والتدرج في الخلوص إلى مزيج واحد لا يفصل الأدب والنقد والثقافة عن باقي مناحي المجتمع [٧٢].

ثانياً البعد الحضاري : نستحضر مع الخلفية الحضارية عقدة الأنا والآخر ، والرجعية والتقدم ، والشرق والغرب ، وهى بؤرة الأزمة التي تفاقمت عبر الزمن مع توالي الأجيال . وهى البداية الصحيحة التي انحرفت إلى مسارات خاطئة . لقد لفتنا إلى الغرب الجديد وليس التجديد . فكنا كمن يواجه أشعة الشمس بعد طول ظلام . ونخص بالذكر هنا مجالي الأدب والنقد . ولست أدري كيف استسغنا تسييد أو تعميد الأدب الغربي على الأدب العربي ، دون الالتفات إلى الفروق والاختلافات ؟! وتلاه في ذلك بالتبعية النقد الأدبي ، فنقلنا مقاييسه على نفس الشاكلة . وأخضعنا الأدب العربي لتلك المقاييس المتوازنة مع الأدب الغربي وليس العربي . ولعل البدايات الصحيحة التي نرجعها إلى الدكتور طه حسين في تجديد الرؤية النقدية للعمل الأدبي كما هو ظاهر في دراسته " تجديد ذكرى أبي العلاء المعري " كانت الحجر الملقى في المياه الراكدة ، وأسفرت عن اتجاهات كثيرة ، تتعدى حدود النص إلى العمل الأدبي كله . وبعيداً عن اتجاهه في تقديم العلم على غيره من المقدسات أو الثوابت ، فإنه قد فتح أفاقاً لحدود النص والأديب والناقد . هذه الزاوية تمثل - في رأيي- نقطة الانحراف عن المسار الطبيعي . فقد كان من اللازم وقتئذٍ أن نتأثر بالنموذج الغربي ونقلده ولكن دون عكوف المنبهر الناقل المستهلك . ولا نكتفي بتقديم مادة الأدب العربي للتجريب ، لكن مع الاحتفاظ له بملامحه وشخصيته أيضاً التي تميزه عن غيره [٧٣]. لقد طُمست الملامح العربية المميزة حين جعلنا من النموذج الغربي مثالاً .فلا بلغنا مبلغه ولا نجحنا في تطوير أنفسنا .

ثالثاً البعد العلمي :

لا نستطيع إنكار أن أغلب الدراسات الأكاديمية بعيدة عن تقديم رؤية متكاملة للنصوص ، وأن وضع المنهج فيها أو اختياره أهم من النص ذاته . وهو ما أسهم في جنوح الرؤية وجموحها تجاه المناهج الغربية الجاهزة [٧٤]. في حين أولت فئة قليلة منها النص الاهتمام الأكبر . و تأسست نظريتهم على أدبية الأدب دون إقحام أى عوامل خارجة عنه إلا في مرحلة تالية له هذا أولاً .وأن النقد الأدبي يجب أن يكون جوهره الفن والإبداع والذوق ؛ لأن مادته الأولى كذلك .

ويمكننا في ظل هذه الجهود وتلك الإسهامات - مع تعددها واختلافها - الخلوص إلى بعض الأمور بصدد الرغبة في تكوين نظرية أدبية ، ومناهج من نبت أدبنا ومن صلب واقعنا . وهى أنه لا بد من النظر إلى ضرورة التقارب بين الأدب والنقد بما يحملان من معنى وهدف ، وهذا وحده يستدعي التوقف عن المناهج التي أثبتت فشلها في التطبيق . والعودة إلى النص الأدبي نبدأ به وننتهي إلى الظروف الاجتماعية للمؤلف والبيئة وليس العكس . أما تحويل المناهج إلى مسائل علمية وتطبيقات جافة فقد يؤدي ذلك إلى الفشل .وأرى أن الاتجاه الآن إلى الدراسات البينية ، والقول بأن نتائج المزاوجة بين العلوم مدعاة للإثراء والتنوير ، وأن النظرية لا تنمو إلا من خلال هذه السبيل[٧٥] يؤدي إلى نفس الطريق المسدود .ومثال آخر في الأسلوبية والبنيوية ، فقد تم استخدامهما على غير وجهيهما الصحيح ، وفرغناهما من مضمونهما المفيد حين تحول العمل الأدبي على يد الأولى إلى إحصائيات وعلى يد الثانية إلى نسب وأبعاد ، وفي هذا تحول عن مهمة النقد التي هى تفسير النص [٧٦] . وهذه النظرية تبناها الدكتور محمد مندور والدكتور محمود الربيعي وكذلك الدكتور شكري عياد وعبد العزيز حمودة ، ومن خارج الجامعة سيد قطب ومحمود شاكر[٧٧]. وخلاصة رأيهم فيها لا تمانع في الاعتماد على الدراسات العلمية في صدد النقد . فهى مأمونة ومجدية طالما هى تبحث في المحيط البعيد الواسع للعمل الفني ، ولكنها تفقد قيمتها حين تصل إلى الطبيعة الفنية والأسلوب الفني أو إلى العمل الفني ذاته [٧٨]

وعلى الناقد الأدبي أن يختار بين أمرين كما يقول الدكتور الربيعي : " إما الإمعان فيما هو فيه ، ومن ثم الإفضاء إلى مزيد من فقدان الهوية ، وإما عرض بديل جديد في أسلوب العمل . وأرى أن البديل الصالح المعروض أمامه الآن هو تأكيد أدبية الأدب ".[٧٩]

إن الوصول إلى نظرية عربية يحتاج إلى مزيد من الجهد ، وإلى تجميع الرؤى المتفقة والمتشابهة ،والمثابرة والدأب عليها جيلاً بعد جيل ، فكل شكل جديد للرؤية الفنية يتهيأ ببطء خلال قرون ، والعصر لا يخلق سوى الشروط المثلى لتفتحه النهائي وإنجازه [٨٠] وهو أمر موكول إلى الأكاديميين أكثر من غيرهم .

الهوامش والإحالات :

١-انظر : في حدود الأدب ، محمود الربيعي ، كتابات نقدية ١٧٠ ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ٢٠٠٨م ، ص ٣١ ، ٣٣ .

٢-الأكاديمية هى أقدم مدرسة فلسفية أسسها أفلاطون سنة ٣٨٧ق . م ودرّس فيها الرياضيات والفلسفة وكتب على بابها " من لم يكن مهندساً فلا يدخل علينا " وقام على أمرها من بعده تلاميذته واستمرت إلى أن أغلقها جستنيان عام ٥٢٧م ، وقد أطلق لقب الأكاديمي على كل من أعضاء هذه المدرسة الفلسفية . والأكاديمية صفة تطلق على من يتميز بالعلم وجدية البحث . في النقد الأدبي الحديث ، محمد صالح الشنطي ، دار الأندلس ، حائل ،الطبعة الثانية ،٢٠٠٤م ،ص ٣٦٤ .

[٣]- في النقد الأدبي الحديث ، الشنطي ، ص ٣٧٦ . نذكر هنا الدكتور محمد غنيمي هلال (١٩١٣ – ١٩٦٨م)، وهو " أحد نقادنا الأكاديميين المعدودين الذين أصلوا النقد الأدبي الحديث في العربية وأقاموا صرحه على دعائم راسخة من النظر العلمي العميق والرؤية الشاملة المستوعبة ، وأثروا المكتبة النقدية العربية بالعديد من المؤلفات القيمة في مجال النظرية والتطبيق ، فضلاً عن جهوده الخصبة في مجال تكوين أجيال من النقاد والمقارنين المرموقين الذين يحتلون مكانة بارزة في الساحة النقدية والفكرية " . مقدمة الدكتورعلي عشري زايد للكتاب التذكاري عن محمد غنيمي هلال (ناقداً ورائداً في دراسة الأدب المقارن) ، إعداد قسم البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن، كلية دار العلوم - جامعة القاهرة ، دار الفكر العربي ، ط. الأولى ، ١٩٩٦م ، ص٧ .

[٤]- التقدير الزمني للمعاصرة - هنا - يعني مرحلة النقاد الأكاديميين من الجيل قريب العهد بحاضرنا من الذين يواصلون الجهد في سبيل النهوض إلى عصرنا هذا . وثمة دراسة مهمة للدكتور محمد حسن عبد الله بعنوان " الجامعة والنتاج النقدي" وهى مقالة تذكارية بمناسبة مرور مائة عام على إنشاء جامعة القاهرة ، ٢٠٠٧م . وقد ألقى فيها الضوء على بعض رموز النقد من المنتسبين إلى البحث العلمي الأكاديمي ، ومكانتهم في مجال النقد الأدبي .، من خلال بيان ملامح من النتاج النقدي الذي صنعته الجامعة المصرية في مائة عام . وهى دراسة موجزة لضيق المقام كما ذكر في كتابه " نقد ونقاد معاصرون " ، زرقاء اليمامة ، ٢٠٠٨م .

[٥]- دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث ، أحمد درويش ، مكتبة الزهراء ، ص ٨ .
[٦]- الأسلوب ، دراسة لغوية إحصائية ، سعد مصلوح ، عالم الكتب ، ط. الثالثة ، ١٩٩٢م ، ص ١٢ .
[٧]- في معرفة النص ، يمنى العيد ، دار الآفاق الجديدة ، بيروت ، لبنان ، ط .الأولى ، ١٩٨٣م ، ص ١١٩ .
[٨]- انظر : الأبعاد العلمية في النقد الأدبي العربي المعاصر ، عاشور توامة ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في النقد الأدبي ، جامعة محمد خيضر ، سُكّرة ، تونس ، كلية الآداب واللغات ، قسم الأدب العربي ، ٢٠١٠م ، ص ١٥٠ .
[٩]- انظر : قضية المصطلح في مناهج النقد الأدبي الحديث ، عبد القادر القط ، المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، الكويت ، العدد ٤٨ ، ١٩٩٤م ، ص ٩٨ . وكذلك : المنهج الأسلوبي في النقد الأدبي في مصر (التطور - النظرية - التطبيق) ، مديحة جابر السايح ، كتابات نقدية (١٣٥) ،الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ٢٠٠٣م ، ص ٤٢٠ .
[١٠]- قضايا النقد والإبداع ، سيد البحراوي ، كتابات نقدية ١٢٩ ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، ٢٠٠٢م، ص ٣٤ .
[١١]- انظر : الأسلوب ، دراسة لغوية إحصائية ، ص ١٦ .
[١٢]- انظر : الأبعاد العلمية في النقد الأدبي العربي المعاصر ، ص ١٥٣ .
١٣- انظر : السابق ، ص ١٥٠ . ويحسن هنا الاستعانة بتجربة عملية للدكتور عبد الله الغذامي تؤكد فوضى تعدد المصطلحات المترجمة والمعربة لمنهج واحد كـ(السيميولوجية)فيقول في ذلك : " لقد استعرت له اسمه الغربي ، مخالفاً

بذلك ما حاوله بعض الدارسين من العرب في تعريبه إلى مصطلحات مثل (علم العلامات) كما سماه الدكتور عبد السلام المسدي...وهو تعريب سليم ولا اعتراض عليه ، لولا أنني وجدت مشكلة في النسبة إليه حيث استعصى عليّ أن أقول مثلاً : تحليلاً علاماتياً بدلاً من تحليل سيميولوجي ، ووجدت الإفراد غامض الدلالة فيما لو قلت (تحليلاً علامياً) ...وتردد عند بعض الدارسين مصطلح (سيمياء) كما نجد عند الدكتور نصرت عبد الرحمن ...وجاراه الدكتور سعد مصلوح ...ولكنني أجد في هذه الكلمة نفس ما يجده الدكتور صلاح فضل فيها من خشية (أن يفهم القاريء العربي من السيميائية شيئاً يتصل بالفراسة وتوسم الوجوه بالذات أو يربطها بالسيمياء وهى العلم الذي اقترن في مراتب المعارف العربية بالسحر والكيميا)... ومع مصطلح السيميا وردت كلمة(الرموز) كبديل أو مرادف لها ولكن مصطلح (رموز) لا يقوم إلا بثلث مجالات السيميولوجيا لأنها مع الرموز تشمل العلامات والإشارات كما هى عند بيرس ... كما أن سوسير رفض مصطلح (رمز) وأحل محله مصطلح (إشارة) لأن الرمز يوحي بوجود الباعث مما ينشيء علاقة سببية أو عرضية بين الدال والمدلول ، وهذا ضد فكرة سوسير حول اعتباطية الدال . ومن تراجمها العربية (الدلائلية) ...وهذا تعريب أكاد أميل إليه لولا تقاربه مع مصطلح (علم الدلالة) تقارباً يوشك أن يبلغ حد الالتباس . ولذا فإني أستخدم عن كره مصطلح (سيميولوجي) منتظراً مولد مصطلح عربي يحل محلها معطياً كل ما تتضمنه من دلالات ".
انظر : الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية ، عبد الله الغذامي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء المغرب ، ط. السادسة ، ٢٠٠٦م ، ص ٤١ ، ٤٢ .

١٤- راجع : في النقد الأدبي ، وما إليه ، محمود الربيعي ، دار غريب ، ٢٠٠١م ، ص ٢٥١ .
١٥- انظر : المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك ، عبد العزيز حمودة ، عالم المعرفة (٢٣٢) ، الكويت ، ١٩٩٠م ، ص ٣٣ .
١٦- انظر : السابق ، ص ٦٣ .
١٧- يراجع في ذلك : المصطلحات الأدبية الحديثة ، محمد عناني ، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان- ط . الأولى ، ١٩٩٦م ، ص ٨ .
١٨- في الميزان الجديد ، محمد مندور ، مؤسسات ع. بن عبد الله ، ط.الأولى ، ١٩٨٨م ، ص ٥ .
١٩- الأسلوب (دراسة لغوية إحصائية) ، ص ٢٧ . وكذلك في النقد الأدبي ، وما إليه ، ص ٢٤٣ .
٢٠- انظر : النقد الأدبي وما إليه ، ص ٢٦١، ٢٦٢ .
٢١- البحث عن الواقع ، منصور الحازمي ، الرياض ، ١٩٨٤م ، ص ٨٥ .
٢٢- مداخل النقد الأدبي الحديث ، محمد حسن عبد الله ، الدار المصرية ،السعودية ، ٢٠٠٥م ،ص ٢٣ .
٢٣- دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث ، ص ٤ ، ٥ .
٢٤- شعرنا القديم والنقد الجديد ، وهب أحمد رومية ، عالم المعرفة ، ٢٠٧ ، ١٩٩٦م ، ص ٧ .
٢٥- راجع : المرايا المقعرة ، الدكتور عبد العزيز حمودة ، عالم المعرفة ، ٢٧٢ ، الكويت ، ٢٠٠١م ، ص ١٠٦ ، ١٠٧
٢٦- في النقد الأدبي وما إليه ، ص ١٧٩ .
٢٧- السابق ، ص ٢٥١ . ولقد وصف الأستاذ فاروق شوشة أسلوب الدكتور الربيعي بأنه نموذج للوضوح الكاشف ، فلا يعتمد الغموض أو عسر التناول سبيلاً للإيهام بطبقات من العلم والمعرفة ، ونموذج في الوصول إلى الهدف الذي يسعى إليه من أيسر سبيل دون عنت أو مشقة ، وبلغة شديدة البساطة والعمق معاً ، لا فضول فيها ولا حذلقة ولا تكلف ، وإنما هى اللغة التي تحمل المعنى إلى المتلقي . مقال بجريدة الأهرام ، العدد ٤٤٣٦٥ ، ٢٥ مايو ٢٠٠٨م ، فاروق شوشة .

٢٨- وهنا تتشكل علاقة تأثير وتأثر بين الأستاذ والجامعة .
٢٩- النقد الأدبي ، وما إليه ، ص ١٥٠ .
٣٠- الدلالة مصطلحات ومفاهيم ، حامد عبد السلام ،منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية.

٣١- انظر : مقدمة الدكتور حماسة عبد اللطيف ، النقد الأدبي ، وما إليه ، ص ١٩.
٣٢- انظر : الأسلوب (دراسة لغوية إحصائية) ، ص ٢٧ .
٣٣- انظر : أصول النقد الأدبي ، أحمد الشايب ، القاهرة ، ط. الخامسة ، ١٩٥٥م ، ص ١٧٦ . جدير بالذكر أن الأستاذ أحمد الشايب شغل منصب أستاذ لكرسي الأدب العربي بكلية الآداب جامعة فؤاد الأول حتى رحيله ، ويعد من الرعيل الذي حصل على لقب الأستاذية في الجامعة دون الحصول على درجة الدكتوراة .
٣٤- انظر : النقد الأدبي ، وما إليه ، ص ٢٥٣ .
٣٥- انظر : السابق ، ص ١٩٦ .

٣٦- يفضل الدكتور صلاح فضل تسمية(البنائية) عن (البنيوية) نظراً لوقوع الواو بين ضرتيها في(بنيوية)وهو اشتقاق يجرح النسيج الصوتي للكلمة ، وهذا ما جعله يعدل عن هذه التسمية إلى البنائية لسلاستها وقرب مأخذها .انظر : نظرية البنائية في النقد الأدبي ، صلاح فضل ، دار الشروق ، ط.الثانية ، ١٩٩٨م ، ص ١٣ .
٣٧- انظر : علم الأسلوب (مبادئه وإجراءاته) ، صلاح فضل ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط. الثانية ، ١٩٨٥م ، ص ٣، ٤ .
٣٨- في النص الأدبي - دراسة أسلوبية إحصائية – الدكتور سعد مصلوح ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، ط. الأولى ، ١٩٩٣م ، ص ٧ .
٣٩- يراجع :الخطيئة والتكفير ،من البنيوية إلى التشريحية نظرية وتطبيق ،عبد الله الغذامي . وانظر : الأبعاد العلمية في النقد العربي المعاصر ، ص ١٨٧ : ٢٠٦ .
٤٠- النقد الثقافي ، قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، الدكتور عبد الله الغذامي ، المركز الثقافي العربي ، ط. الثالثة ، ٢٠٠٥م ، ص ٨ .
٤١- السابق ، ص ١٤ .
٤٢- انظر : السابق ، ص ١٩ .
٤٣- انظر: النقد الثقافي ، ص ١٢.
٤٤- هذه المؤلفات هى : المرايا المحدبة ، المرايا المقعرة ، الخروج من التيه .
٤٥- انظر : المرايا المحدبة ، ص ٤٠٣ ، ١٦١ .
٤٦- أرى أن الدكتور عبد العزيز حمودة في تلك المؤلفات بني فكره على أساس شبيه بالأساس الذي بنى عليه محمود شاكر رأيه في رفض التجديد من خارج الثقافة العربية ، فطالما حارب تلك المحاولات ، وعنى بتفصيل القول في بيان الفوارق بين الثقافات والحضارات ، ونادى بضرورة تكوين منهج نقدي عربي خالص ، إلا أنه قوبل بالهجوم من بعض معاصريه ، منهم الدكتور سعد مصلوح في مقاله ، قراءة نقدية في كتاب " رسالة في الطريق إلى ثقافتنا " ، مجلة العربي ، إبريل ١٩٨٨م ، ص ٤٧ . وكان من آراء شاكر : أن التجديد لا يمكن أن يكون مفهوماً ذا معنى ، إلا أن ينشأ نشأة طبيعية من داخل ثقافة متكاملة متماسكة حية من أنفس أهلها . ثم لا يأتي التجديد إلا من متمكن النشأة في ثقافته ، متمكن في لسانه ولغته ، متذوق لما هو ناشيء فيه من آداب وفنون وتاريخ مغروس في تارخها وفي عقائدها .يراجع في ذلك كتاب : رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، محمود شاكر كتاب الهلال ، ط. الثالثة ، ١٩٩١م .

٤٧- السابق ، ص ١١ . هذه الشهادة للدكتور عبد العزيز حمودة في الحداثة والحداثيين من النقاد العرب ليست شهادة مجروحة ، بل شهادة قوية وثابتة . وتستمد قوتها وثباتها من أنه كما وصفه الدكتور الربيعي " دارس تأهل في إحدى اللغات الأجنبية وآدابها ، وأصبح أستاذاً له قدرة فيها ، وجاب العالم الغربي (مهد الحداثة) ، وحلل مادة واسعة من هذه الآداب . في حين أن معظم دعاة الحداثة عندنا ليسوا من دارسي اللغات الأجنبية أو آدابها . انظر : النقد الأدبي ، وما إليه ، ص ١٥٨ . وكذلك اعتبر الدكتور محمد حسن عبد الله كتاب (المرايا المحدبة) مفاجأة ؛ لأنه من المفترض أن الدكتور حمودة ينتمي ثقافياً إلى صناع الحداثة . الجامعة والنتاج الأدبي ، المقال التذكاري ، ص ٣٠ .
٤٨- راجع : المرايا المقعرة ، ص ١٦٥ : ١٩٦ .
٤٩- انظر : البحث عن المنهج في النقد الحديث ، سيد البحراوي ، دار شرقيات ، ط. الأولى ، ١٩٩٣م ، ص ١١٦ ، ١١٧ .
٥٠- النقد الأدبي ، وما إليه ، ص٣٤ . وقال : " فحص هذه المناهج الوافدة ، وإكبار القيّم منها ، وبذل أقصى الطاقة في محاولة الاستفادة منها ، واطراح الذي لا قيمة له ، وذلك على أساس الاعتقاد بأن العقلية الأجنبية - كالعقلية العربية – يمكن أن تنتج الغث كما يمكن أن تنتج السمين ، وأن ظروف هؤلاء - كظروفنا - يمكن أن تفضي إلى الازدهار ، ويمكن أن تفضي إلى الانحدار . من أوراقي النقدية ، محمود الربيعي ، دار غريب ، ص ٨ .

٥١ انظر : في حدود الأدب ، ص ٣٢ ، ٣٣ .
٥٢- مقدمة الدكتور حماسة ، النقد الأدبي ، وما إليه ، ص ١٥ .
٥٣-انظر : في حدود الأدب ، ص ٣٣ ، ٣٤ . وكذلك : من أوراقي النقدية ، ص ٨ .
٥٤- انظر : آفاق عربية ، محمد حسن عبد الله ، مكتبة غريب ، ط. الأولى ، ١٩٩٦م ، ص٩ .
٥٥- في النقد التحليلي للقصيدة المعاصرة ، أحمد درويش ، دار الشروق ، ص ٦ .
٥٦- في لقاء تلفزيوني عقب حصوله على جائزة نوبل في الكيمياء ، أثار الدكتور أحمد زويل مشكلة افتقار الباحثين في مؤسسات البحث العلمي إلى روح العمل الجماعي ، وحكى كيف كان بعض الأساتذة يضن بمعمله على الزملاء والباحثين ، ويغلق معمله بأقفال عند انصرافه ، في حين أن في دول الغرب عكس ذلك تماماً يتمتعون بروح العمل الجماعي ؛ وهذا هو سر نجاح العقول العلمية العربية المهاجرة في الخارج وفشلها في بلدها .

٥٧- عندما سئل فاروق شوشة - وهو شاعر وإعلامي له دراية واسعة بمجال الأدب والنقد ، وعمل أستاذاً للأدب بالجامعة الأمريكية ، وأميناً عاماً لمجمع اللغة العربية - عما إذا كان المجمع اللغوي قد أدى دوراً بارزاً في حياتنا ، أجاب بأنه : لا توجد مؤسسة واحدة في مثل مجتمعنا تستطيع أن تؤدي دوراً بارزاً ؛ لسبب هو أنه لابد أن يكون الدور المتكامل دور دولة ، أما عن المؤسسات لدينا فهى شراذم ، ونحن نفتقد العمل الجماعي المتكامل المتناغم بين مؤسسات وأجهزة الدولة .
٥٨- البنائية في النقد الأدبي ، ص ١١ .
٥٩- انظر : إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر ، عبد الغني بارة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ٢٠٠٥م ، ص ٢٩٠ : ٢٩٨ . وكذلك الأبعاد العلمية في النقد العربي المعاصر ، ص ١٥٠ ، ١٥١ .
٦٠- انظر : مقالة تذكارية بمناسبة مرور مائة عام على إنشاء جامعة القاهرة ، ص ١٠ ، ١٨ ، ١٩ .
٦١- انظر : مقالات أدبية قصيرة ، محمود الربيعي ، تقديم وترتيب حسن البنداري ، دار غريب ، ٢٠٠١م ، ص ٣٦ ، ٣٨ . وكذلك : في حدود الأدب ، ص ٣٧ .
٦٢-انظر : النقد الثقافي ، ص٨ .
٦٣- انظر : السابق ، ص ٨٣ .
٦٤- يراجع عرض نظريته تطبيقاً في : الجنوسة النسقية ، أسئلة في الثقافة والنظرية ، عبد الله الغذامي ، المركز الثقافي العربي ، ط.الأولى ، ٢٠١٧م .
٦٥- انظر : السابق ، ص ١٠٤ .
٦٦- النقد الأدبي وما إليه ، ص ١٦٩ .
٦٧- انظر : السابق ، ص ١٥٧ .
٦٨- نقد ثقافي أم نقد أدبي ، الدكتورعبد الله محمد الغذامي ، و الدكتورعبد النبي اصطيف ، دار الفكر ، دمشق ، ط. الأولى ، ٢٠٠٤م .

٦٩-النظرية الأدبية ، جوناثان كالِر ، ترجمة رشاد عبد القادر ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ٢٠٠٤م ، ص ٢٣ .
٧٠- انظر : إضاءات نقدية ، مقال : النقد الأدبي العربي المعاصر وتأثره بالمناهج الغربية ، حسن مجيدي – سيد محمد أحمدنيا ، مجلة فصلية محكمة ، السنة الثانية ، العدد الثامن ، ٢٠١٢م ، ص ١١١ .
٧١- انظر : السابق ، ص ١١٢م .
٧٢- يرى الدكتور سيد البحراوي أننا تابعون ذهنياً للنموذج الأوروبي ، وهى تبعية لا تؤدي إلى فكر نقدي أو عقلاني ، لأن التابع لا يفكر نقدياً ولا يعمل عقله بحرية . ومثل هذا الفكر التابع ، لا يمكن أن يؤدي إلى تنوير ، لأن التنوير ليس مجرد حركة فكرية ، وإنما حركة اجتماعية ينبغي أن تشمل مجمل قطاعات المجتمع ، وتتواكب فيها التغيرات الفكرية مع السياسية مع الاقتصادية ...انظر : قضايا النقد والإبداع العربي ، ص ٨٧ .
٧٣- شبيه بهذا ما قاله نجيب محفوظ في لقاء تليفزيوني عن وصوله بواقعيته في الأدب إلى العالمية ، أن الأديب لابد أن يخلص لذاته ، والتقليد وإن كان في البداية ضرورة ، فإن غاية الفنان أنه يتخلص من التقليد ويعود لذاته.
٧٤- توجه الجامعة طلاب الدراسات العليا في بحوثهم إلى هذه المناهج الحداثية ، وكلما أمعن البحث في أحدثها كان الأقرب إلى القبول لديها . جدير بالذكر هنا أن الكثير من هذه البحوث تقف على التنظير ، أما التطبيقي منها فقد تقدم في قوالب صماء دون تحليل أو تفسير للظواهر في النص . وهذا لأن مثل هذه المناهج لا يصلح تطبيقاً على الأدب العربي .
٧٥- انظر : ثقافة الأسئلة : مقالات في النقد والنظرية ، عبد الله الغذامي ، دار سعاد الصباح ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٣م ، ص ٣٠ .
٧٦- انظر : النقد الأدبي وما إليه ، ص ٢٦١ ، ٢٦٢ .
٧٧- يرى سيد قطب في كلامه عن مناهج النقد الكلاسيكية - وهى التي كانت سائدة حينها- أن من الممكن أن نكتفي منها بأن تكون إطاراً للعمل الأدبي ، تعين على فهمه وفق ظروفه ، ولكنها لا تغني عن مواجهة النص والحكم عليه بالنظر إلى قيمه الشعورية وقيمه التعبيرية مباشرة . انظر : النقد الأدبي : أصوله ومناهجه ، سيد قطب ، دار الشروق ، ١٩٩٠م ، ص ١١٣ .وقد أهدى الكتاب إلى روح عبد القاهر الجرجاني بوصفه أول ناقد عربي أقام النقد الأدبي على أسس علمية نظرية .لكن لم تلق محاولته العناية في استكمالها والبناء عليها .
٧٨ انظر : السابق ، ص ١٠٩ . وانظر : النقد الأدبي وما إليه ، ٢٦١ .
٧٩- النقد الأدبي وما إليه ، ص ٢٦٢ .
٨٠- انظر : مقولة باختين كما وردت في كتاب ثقافة الأسئلة ، ص ٢٦ .

مـراجع البحث

أولاً كتب مطبوعة :

١- بارة (عبد الغني) ، ٢٠٠٥م ، إشكالية تأصيل الحداثة في الخطاب النقدي العربي المعاصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٢- البحراوي (سيد) :

- ١٩٩٣م ، البحث عن المنهج في النقد الحديث ، ط . الأولى ، دار شرقيات .
- ٢٠٠٢م ، قضايا النقد والإبداع العربي ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، كتابات نقدية ١٢٩.

٣- الحازمي (منصور) ،١٩٨٤م ، البحث عن الواقع ، الرياض .

٤- حمودة (عبد العزيز) :

- ١٩٩٠م ، المرايا المحدبة من البنيوية إلى التفكيك ، الكويت ، عالم المعرفة (٢٣٢) .
- ٢٠٠١م ، المرايا المقعرة ، الكويت ، عالم المعرفة ، ٢٧٢ .

٥- درويش (أحمد) :

- دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث ، مكتبة الزهراء .

- في النقد التحليلي للقصيدة المعاصرة ، دار الشروق .

٦- الربيعي (محمود) :

- ٢٠٠٨م ، في حدود الأدب ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، كتابات نقدية ١٧٠ .

- ٢٠٠١م ، مقالات أدبية قصيرة ، محمود الربيعي ، تقديم وترتيب الدكتور حسن البنداري ، دارغريب .
- النقد الأدبي وما إليه ، دار غريب .
- من أوراقي النقدية ، دار غريب .

٧- رومية (وهب أحمد)١٩٩٦م ، شعرنا القديم والنقد الجديد ، الكويت ،عالم المعرفة ، ٢٠٧ .

٨- السايح (مديحة جابر) ، ٢٠٠٣م ، المنهج الأسلوبي في النقد الأدبي في مصر (التطور - النظرية - التطبيق) ، الهيئة العامة لقصور الثقافة ، كتابات نقدية (١٣٥) .

٩- شاكر (محمود) ،١٩٩١م ، رسالة في الطريق إلى ثقافتنا ، ط . الثالثة ، كتاب الهلال .

١٠- الشايب (أحمد) ، ١٩٥٥م ، أصول النقد الأدبي ، ط. الخامسة ، القاهرة .

١١- الشنطي (محمد صالح) ، ٢٠٠٤م ، في النقد الأدبي الحديث ، ط.الثانية ، حائل ، دار الأندلس .

١٢-عبد الله (محمد حسن) :

- ١٩٩٦م ، آفاق عربية ، ط. الأولى ، ، مكتبة غريب .
- ٢٠٠٥م ، مداخل النقد الأدبي الحديث ، ، السعودية ، الدار المصرية .
- ٢٠٠٨م ، نقد ونقاد معاصرون ، ، زرقاء اليمامة .

١٣- عناني (محمد) ، ١٩٩٦م ، المصطلحات الأدبية الحديثة ، ط . الأولى ، الشركة المصرية العالمية للنشر - لونجمان.

١٤- العيد (يمنى) ، ١٩٨٣م ، في معرفة النص ، ط .الأولى ، بيروت ، لبنان ، دار الآفاق الجديدة .

١٥- الغذامي (عبد الله) :

- ١٩٩٣م ، ثقافة الأسئلة ، مقالات في النقد والنظرية ، ط . الثانية ، دار سعاد الصباح .
- ٢٠٠٤م ، نقد ثقافي أم نقد أدبي ، ط. الأولى ، دار الفكر دمشق .
- ٢٠٠٥م ، النقد الثقافي ، قراءة في الأنساق الثقافية العربية ، ط. الثالثة ، المركز الثقافي العربي .
- ٢٠٠٦م ، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحية ، الدارالبيضاء المغرب ، ط. السادسة ، المركز الثقافي العربي .
- ٢٠١٧م ، الجنوسة النسقية ، أسئلة في الثقافة والنظرية ، ط.الأولى ، المركز الثقافي العربي .

١٦-فضل (صلاح) :

-١٩٨٥م ، علم الأسلوب (مبادئه وإجراءاته) ، ط . الثانية ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

-١٩٩٨م ، نظرية البنائية في النقد الأدبي ، ط.الثانية ، دار الشروق .

١٧- قطب (سيد) ، ١٩٩٠م ، النقد الأدبي ، أصوله ومناهجه ، دار الشروق .

١٨- كالير(جوناثان) ، ٢٠٠٤م ، النظرية الأدبية ، ترجمة رشاد عبد القادر ، دمشق ، منشورات وزارة الثقافة .

١٩- مصلوح (سعد) :

- ١٩٩٢م الأسلوب ، دراسة لغوية إحصائية ، ط. الثالثة ،عالم الكتب .
- ١٩٩٣م ، في النص الأدبي ، دراسة أسلوبية إحصائية ، ط. الأولى ، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية .

٢٠- مندور (محمد) ، ١٩٨٨م ، ط.الأولى ، في الميزان الجديد ، مؤسسات ع. بن عبد الله .

ثانياً : مجلات تذكارية :

١- ٢٠٠٧م ، الجامعة والنتاج النقدي ، مقالة تذكارية بمناسبة مرور مائة عام على إنشاء جامعة القاهرة .
٢- ١٩٩٦م ، محمد غنيمي هلال (ناقداً ورائداً في دراسة الأدب المقارن) ، كتاب تذكاري ، إعداد قسم البلاغة والنقد الأدبي والأدب المقارن، ط. الأولى ، كلية دار العلوم - جامعة القاهرة ، دار الفكر العربي .

ثالثاً : مجلات ودوريات :

١- ٢٠١٢م ، مجيدي (حسن)– أحمدنيا (سيد محمد) ، مقال : النقد الأدبي العربي المعاصر وتأثره بالمناهج الغربية ، إضاءات نقدية ، مجلة فصلية محكمة ، السنة الثانية ، العدد الثامن .
٢- ١٩٩٤م ، حامد عبد السلام ، الدلالة مصطلحات ومفاهيم ، ،منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية.
٣- المجلة العربية للعلوم الإنسانية ، الكويت ، العدد ٤٨ .
٤- ٢٠٠٨م ، جريدة الأهرام ، العدد ٤٤٣٦٥ ، ٢٥ مايو .
٥- ١٩٨٨م ، مجلة العربي ، إبريل .

رابعا ً: مخطوطات :

١- ٢٠١٠ م ، توامة (عاشور) ، الأبعاد العلمية في النقد الأدبي العربي المعاصر ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في النقد الأدبي ، جامعة محمد خيضر ، سُكّرة ، تونس ، كلية الآداب واللغات ، قسم الأدب العربي .

خامساً مواقع إلكترونية :

١- منتدى مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية .